14 me Année No. 688

Lundi—9—9—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٨٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ شوال سنة ١٣٦٥ — ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

« لا » أومن بالانسان (*) !

للأستاذ على الطنطاوى

« ويدعُ الانسانُ بالشرِّ دعاءه بالخير وكان الانسانُ عجولا ، — وكان الانسانُ كَفورا — وكان الانسانُ قَتورا — وكان الانسانُ أكثرَ شيءٍ جدَلاً — وخُلِق الانسانُ ضعيفاً — قُتل الانسانُ ما أكفره — يا أيها الانسانُ ما غرَّك بربِّك الكريم — وإذا أنعمنا على الانسان أعرضَ ونأى بجانبه — وإذا مسَّ الانسانَ الضرُّ دعانا لِجنْبه أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفْنـا عنه ضُرَّه مَرَّ كأنْ لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّـه — وإنا إذا أذقْنا الانسانَ منا رحمةً فرح بها وإن تُصِبْهم سيئةٌ بما قدمتْ أيديهم فإنّ الانسانَ كفور — إن الانسان لـكفور مُبين — إن الانسانَ خُلق هَلوعا ، إذا مسَّـه الشرُّ جَزوعا ، وإذا مسَّـه الخيرُ مَنوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون . — إن الانسان لـكنود — كلا . إن الانسان ليطغى ان رآه استغنى » .

كلام من هذا يا أخى يا عبد المنعم ؟ أفبعد قول الله مقال لقائل ؟ وإذا كان الله الذى خلق الإنسان على أحسن تقويم ، وكرَّمه وعلمه البيانَ يقول إنه ضعيف هلوع جزوع من الشر منوع للخير ، منكر للنعمة ، كفور قتور كنود عجول جَدِل ، يطغى إذا استغنى ، وإن هذا كله فى طبيعته وتركيبه . تريد أن أومن به ؟ وبِمَ أومن ؟ إن ها هنا محذوفاً لا بد من تقديره ، فالإيمان هو التصديق ، ونحن إذ نؤمن بالله نصدق بوجوده وكماله واتصافه بكل صفة خير ، وننزّهه عن كل صفة شر ، فبماذا تريدنى أن أصدق حين أومن بالإنسان ؟ أبكماله النسبي وسموّه وأنه مخلوق خيِّر ؟

إذا كان هذا هو المراد فأنا أومن ... ولـكن بالإنسان الذى أصلح إنسانيته بالإيمان والعمل الصالح . فاذا لم يفعل عادت هذه الانسانية خسراً لصاحبها ووبالاً عليه ، وكانت (حمارية) الحمار و (كلبية) الـكلب ، خيراً من هذه (الإنسانية) فى الدنيا ، وأنجى منها من العذاب فى الآخرة . ولست أنا الذى يقول هذا الـكلام ، وليس هذا رأياً أراه ، ولـكنه قول ربك الذى أقسم عليه ورب الإنسان : والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

(*) كتب الأستاذ عبد المنعم خلاف فى شرح دعوته إلى الأيمان بالانسان كتاباً كبيراً قيماً ، ناظرناه أنا والأستاذ محمود شاكر فيها ساعات طوالا السنة الماضية فى داره ودار الأستاذ الزيات ودار الأستاذ شاكر وتكلمنا فيها فى دار الدكتور عزام ، وليس عندى جديد لم أقله يومئذ فأقوله اليوم ، وما أظن أن عند الأستاذ جديداً فيها لم يكتبه فى كتابه ، فلست أجدد اليوم هذه المناظرة ولـكن أذكر الأستاذ بما لم ينسه فى حكم الاسلام فى هذه المسألة وأبين له لماذا لا أومن (أنا) بالانسان

فاذا كنت تؤمن بالإنسان الذى أدرك ماخلق له فسعى إليه، وعرف الله فأطاعه، فأنا معك، وإذا كنت تؤمن بالإنسان من حيث كان إنساناً، فلا يا أخى. إنى لم أجد دواعى هذا الإيمان.

وهذا تاريخ الإنسانية كله، تَخ منه الأنبياء ومن ساروا على هديهم، وأصلحوا فساد إنسانيتهم بشرائعهم، ثم انظر ماذا بقى، وقل لى أين الإنسان الذى تؤمن به؟ آلانسان الذى قتل أخاه وتركه فى العراء، حتى علّمه غراب أسود كيف يوارى سوأة أخيه؟ أم الإنسان الذى ارتقى حتى صار يقتل بالقنبلة الذرية الآلاف من النساء والولدان لا يجدون حيلة، ولا يهتدون سبيلا ولم يذنبوا ذنباً ولا أعلنوا حرباً؟ أم الإنسان الذى استغل هذه الحرب، وهى مأتم الإنسانية، فأخذ اللقمة من فم المرأة التى سيق زوجها إلى القتال، والولد الذى أخذ أبوه إلى الحرب، حتى إذا ماتوا من الجوع لبس الحرير ودان بالفجور، ورقص على جثثهم فى هذا المأتم الباكى؟ أم الانسان الذى يخون عهده وينسى الخبز والملح على حين تفى الكلاب؟ أم الذى يجزع ويضيق صدره ويبيد صبره على حين تصبر الحمير؟ أم الذى يشقى غيره ليسعد نفسه، على حين يتعاون النمل والنحل على مافيه خير الجميع؟

آلإنسان الذى انفرد دون سائر الأحياء من ملائكة وحيوانات بالكفر بالله، لا يشاركه هذا (الشرف ...) إلا الشياطين وهم كفار الجنّ، على حين يسبح بحمد الله كل شىء؟

أهذا الذى تؤمن به؟ وأين دواعى الإيمان حتى أومن مثلك؟ دلنى عليها يا أخى فانى لا أراها. إنى لأتلفت حولى فلا أرى إلا آكلا الدنيا باسم الدين، أو شارباً دم الوطن باسم الوطنية، أو سارقاً أموال الناس باسم التجارة، أو حافراً بئراً لأخيه وهو يبسم له بسمة الأخاء، أو متعالياً على الناس باسم الوظيفة وهو أجيرهم، أو أستاذاً يستغلّ منصب التعليم وهو من عمل الأنبياء ليعتدى على عفاف تلميذته، أو طبيباً يسطو على عرض مريضته أو ممرّضته، أو محامياً يأخذ أجرة الوكالة من (جمال) موكلته، وامرأة تخون زوجها، وزوجاً يخالف إلى غير امرأته، وكل يكذب بقوله وعمله ويظهر غير حقيقته، والكبير يأكل الصغير كما تأكل الحيتان السمك، ويتربص به ليلدغه كما تلدغ الحية، فأين الإنسان الذى تؤمن به يا أخ؟ إنى لأقوم على الطريق فأنظر فلا أرى إلا ذئباً يلبس الثياب ثم يسطو كما تسطو الذئاب، أو ثعلباً يحتال مثل الثعالب، أو ثعباناً ناعم الملمس ناقع السمّ، أو ضفدعاً لها صوت الثور ولكن لا تجر المحراث، أو ضبعاً تأكل أجساد الموتى، أو جرثومة فتاكة تفسد فى الخفاء، فأقول سامح الله عبد المنعم! أهؤلاء هم البشر الذين يؤمن بهم؟!

وأنقل البصر إلى ديار المتمدنين فلا أرى مدنيتهم إلا أظافر من حديد ومخالب من فولاذ كأظافر الوحش ومخالبه. ولكن الوحش يفترس ليعيش هو، وهؤلاء يحاربون لئلا يعيش غيرهم؛ ووجدتهم استخدموا قوى الطبيعة ولكن للشر، واستعملوا عقولهم ولكن فى الضلال. وهذه طبيعة الإنسان، فلا تقل إن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجّسانه، فان هذا حجة لى، لأن أبوى المولود من البشر، فاذا كانا يفسدان الفطرة فلأن الافساد من عمل الإنسان، ما عرفنا حيوانا يفسد فطرة الله فى وليده لا سبعاً ولا قطاً ولا دودة ولا طائراً، أوليست نفس الإنسان يا أستاذ أمارة بالسوء؟ أليست أخت الشيطان: تصفّد الشياطين بالأغلال فى رمضان فتخلفها نفوس بنى آدم فتعمل عملها وتفسد فسادها، وتوسوس وسواسها (فوسوس إليه الشيطان)، (ونعلم ما توسوس به نفسه) (ان النفس لأمارة بالسوء)، وما نفس الإنسان؟ إنها طبيعته التى طبعه الله عليها.

وما دام كلانا (والحمد لله) مسلماً، فعلام نختلف فى حكم من أحكام الإسلام، وهو أن هذه الحياة الدنيا طريق له غاية خلق الله الناس لها، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، وأن من يحرص على راحته فى سفره، ويتخير لذلك الزاد والمركب ولا يكون له مقصد من السفر لا المنفعة ولا المتعة ولا السياحة فهو أحمق، وأن كل عمل يعمله من لا يؤمن بالله، وكل اختراع يخترعه سراب بقيعة، لا يزيده من الله إلا بعداً، ولا يكون فى نظر الإسلام إلا دليلا على جهله وضلاله وخساره ...

أيستطيع مسلم يا أستاذنا عبد المنعم أن ينازع فى هذا؟ فما النتيجة؟ هى أن هذا الإنسان شرّ الدواب فى الدنيا، وأخزى المخلوقات يوم القيامة ما لم يطهر نفسه بالإيمان، ويصلح فساد طبيعته بالاتصال بالله

وهل أدلّ على ندرة الحق والخير والجمال فى عالم الإنسان من كونه جعلها مثلا أعلى ، ومطمحاً من المطامح البعيدة ، وأملاً من الآمال النائية ؟ ولو كانت خلائق رّاسخة فيه ، وكانت طبيعة ملازمة له ، ما جعلها كذلك . فلو كان صادقاً ما كان يمدح الصادق بصدقه ، ويعجب منه أن لازمه وأقام عليه . ولو كان وفياً ما كان ثالث المستحيلات عنده ... الخلّ الوفىّ ، إنما يطمح المرء إلى ما لا يملك ، وأن مائة الدينار من الذهب هى (مثل أعلى) للفقير المفلس ، ولكنها عند الغنى حقيقة تافهة ...

ألا إنى أومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشرّه ، ولكنى لا أومن بانسانك هذا ؟ فهل علىّ من الله من شىء ؟

إذن فليقل الناس عنى ما شاءوا !

على الطنطاوى

الترجمة والمترجمـــون

للأستاذ د . جونسون دافيز

الحرب بطبيعتها أداة تخريب ودمار ، ولكن لهـا فوائد يجب أن توضع فى الكفة الأخرى من الميزان . فهى ترغم الناس على أن يشمروا عن ساعد الجد وينبذوا التكاسل والتراخى فى نواح كثيرة . وبلادنا (بريطانيا) قد جنت من هذه الحرب فائدة جليلة : هى أنها صارت أقل انعزالا وانكماشا فى حدود جزيرتها مما كانت من قبـل . ذلك أن كثيرا من الأجانب قد لا ذوا بسواحلها ووجدوا فيها معقلا يحميهم من الاضطهاد والعدوان . والإنكليزى العادى ، والانكليزية العادية ، باختلاطهما بهؤلاء الأجانب ازداد فهمهما للأمم الأخرى وعطفهما على غير ملتهما من الملل . ومن الدلائل على هذا ذلك العدد الضخم من الكتب التى صدرت خلال الحرب عن الدول والأمم الأجنبية . كما ازداد الاهتمام بالترجمة من اللغات الأجنبية ، الألمانية ، والبولندية ، والفرنسية ، والتشيكية ، ثم الروسية طبعاً . وأغلب هذه الكتب بطبيعة الحال قد ألفت قبل الحرب ، لأنه لم يصل من أوربا التى احتلها الألمان إلا العدد الضئيل من الكتب . ومن هذه كتاب جدير بالذكر هو « صمت البحر Le Silence de la Mer » ، ألفه ڤركور Vercors . وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة فى مطابع النشر السرية فى فرنسا ، بالرغم من فداحة الخطر ، ثم هربت منه نسخة إلى الخارج . وقد ظهرت له ترجمة إنكليزية بعنوان « أطفئ النور Put out the Light » . هذا الكتاب الصغير — فهو فى الحق لا يزيد عن قصة قصيرة — يصف موقفا لا بد أنه تكرر فى مئات الألوف من البيوت فى جميع أنحاء فرنسا المحتلة ، فهو يصف أسرة فرنسية صغيرة ، مكونة من رجل هرم وابنة أخيه ، ترغم على إيواء ضابط ألمـانى . وهو موقف يسهل جدا اتخاذه فرصة للدعاية الرخيصة ، ولكن ليس من هذا أتفه قدر فى هذا الكتاب ، فهو كتاب فن ، كتاب فن خالص . فالألمانى لا يوصم بأنه مجرم أثيم ، والفرنسى ليس بطلا . بل الألمانى رجل مثقف ، طيب بطبيعته ، ومأساته موصوفة بعطف بديع ، وقد ترك إلى القارئ أن يستنتج ما يريد من النتائج . فهذا الكتاب ، على الرغم من ضآلة حجمه من المؤلفات القليلة عن الصراع الحاضر التى يمكن أن تعد أدبا رفيعاً .

هذه المسألة ، مسألة الترجمة من اللغات الأجنبية ، هى فى اعتقادى ذات أهميـة بالغة فى بناء أدب الأمة . فهى هامة فى المحل الأول لأننا إذا أردنا أن نعرف شيئا عن أمة ما فخير ما نعمله هو أن نقرأ كتاب هذه الأمة . ولكن أهميتها ترجع فى أغلبها إلى هـذه الحقيقة : إنه كما أن الأفراد مختلفو الطبائع ، كذلك الأمم ، على نطاق أوسع ، مختلفة الخصائص ؛ فالأمم ، لاختلاف أقطارها ودرجات تعليمها وأنواع ثقافتها وتربيتها ، لها وجهات نظر فى المشكلات اليومية ، ومشكلات الحياة والموت ، تختلف إحداها عن الأخرى بعض الشىء . وهكذا تجلب الترجمة دما جديدا إلى أدب الأمة ، وكثيرا ما تكون مصدر إلهام ذى آثار عميقة .

واليوم انبعث من جديد الاهتمام بالروائيين الروس الأعاظم حتى لم يعد ممكنا العثور فى المكاتب على نسخة من روايتى تولستوى العظيمتين « آنا كارنينا » و « الحرب والسلم » . وإذا أسعد الحظ امرءاً باقتناء نسخة ظل أصحابه يستعيرونها منه بلا انقطاع . ومن حسن الطالع حقا العثور على كتب دستيوفسكى

أو تشيكوف أو تورجنييف أو غيرهم من عظام كتاب الروس القدماء برغم أن كتبهم يتكرر طبعها .

وقرأت مرة فى أحد كتب النقد الأدبى أن العمل الأدبى ذا الأثر الأعظم فى إنكلترا فى هذا القرن هو ترجمة كنستانس كارنت Constance Garnett للروائيين الروس الأعاظم . هذا تقرير خطير ، وهو يدل على مقدار ديننا لهذه المرأة الملهمة التى وقفت حياتها على ترجمة مؤلفات الآخرين حتى يقرأها ويقدرها أبناء وطنها . وقلما ينال المترجم مثل هـذا الثناء . ومن الثابت أنه لا يكاد يوجد اليوم روائى لم يتأثر تأثرا عميقا بكتابات عظماء الروس . فكم من هؤلاء الذين تأثروا هذا التأثر ودانوا للمؤلفين الروس هذا الدين الجليل كانوا يجدون الفراغ والعزيمة والصبر الكافية لتعلم اللغة الروسية الصعبة حتى يستمدوا هذا الإلهام بأنفسهم . كم منهم كان يفعل ذلك لو أن كارنت لم تقم بما قامت به ؟ إن فرجينيا وولف Virginia Wooff ، هذه الروائية والناقدة البعيـدة الصيت قالت فى إحـدى مقالات كتابها النقدى « the Common Reaber » : كل دراسة للرواية الإنكليزية الحديثة مهما كانت عامة موجزة يجب أن تذكر التأثير الروسى ، فإذا ما ذكر الروس لم يكد يتمالك المرء نفسه من الإفاضة فى التحدث عنهم ، لأنه من إضاعة الوقت أن يتحدث عن رواية غير روايتهم . » فهل بعد هذا ثناء على الرواية الروسية ؟ والمرء حين يقرأ الأدب الروسى الحديث تأخذه الدهشة والاستياء إذ يراه مقفراً كل الأقفار من هذه العظمة ، ومن هذا الفهم الشاسع البعيد الذى فهم به الروائيون القدماء الدنيا وأبناء جلدتهم من البشر . ويظهر أن الروس المعاصرين ، مع تفوقهم وامتيازهم فى فن الرقص التمثيلى والسينما والمسرح ، قد أجدبت عقولهم فى فن الكتابة . حقاً إن روسيا السوفييتية لها كتابها ، وكثير منهم قد ترجموا إلى الإنكليزية ، ولكن أحداً منهم ليس فى عظمة تولستوى أو دستيوفسكى ، بل لا يقرب من هذه العظمة أقل قرب . ومن الصعب تعليل هذا ، ولكن العلة فى نظرى قد ذكرتها فرجينيا وولف فى مقالة أخرى فى نفس الكتاب حين قالت إن الخاصية المميزة للأدب الروسى هى انحصار الكاتب الروسى بروح الإنسان . فدستيوفسكى مثلا لا يهتم كثيراً بوصف حجرة أو منزل ، بل لا يهتم بالصفات الجسدية لشخصياته ، فهو مهتم بأرواحهم ، ويوجه كل همه إلى وصف روح كل شخصية من شخصياته وكيف تقلبها واضطرابها . فلعل الأمر إذن هو أن الروح الروسية القلقة قد وجدت فى نواح كثيرة ملجأ للراحة والاطمئنان فى النظام الجديد ، النظام الشيوعى ، وبذلك قل اضطرابها وخفقانها عن ذى قبل . أضف إلى هذا أن التقلقل السياسى الذى عانته روسيا فى السنين الخمس والعشرين الماضية لا بد أنه كان له أثر سيء على الأدب . لقد قرأت مجلدات عديدة من الأقاصيص القصيرة الروسية الحديثة ولم أجد بها إلا القليل مما يعد ممتازاً ، وكثير منها دعاية لا أدب

ولكن لنعد إلى الروائيين الروس القدماء . كم من الناس الذين قرأوا تولستوى ودستيوفسكى والآخرين يتذكرون اسم المترجم الذى مكنهم من قراءة هذه الروايات ؟ الترجمة فن أبعد ما يكون عن العمل الآلى : هى تتطلب أكثر من مجرد معرفة اللغتين . هى عمل خالق بلا شك ، والمترجم يستحق فى الأوساط الأدبية من الشهرة أكثر مما يناله اليوم . المترجم لا ينال إلا نصيباً تافهاً من الجزاء المالى ، ولا يكاد ينال شيئاً من الثناء أو الذكر ، مع أن عمله فى الدرجة القصوى من الأهمية ، وحتى أعاظم الكتاب لم يعدوا عاراً عليهم أن يزاولوا هذا الفن — فما من شك أن الترجمة فن . فالشاعر الإنكليزى المشهور بوب ترجم أوديسة هومير من اللغة اليونانية ، وإن كان لا بد من الاعتراف أن بوب لم يكن المثل الأعلى للمترجم ، إذ أن ترجمته وإن كانت فى حد ذاتها عملا أدبياً فائقاً ، فهى تحتوى من بوب على قدر أكبر مما تحتويه من هومير . حتى إن أحد معاصريه هنأه على عمله قائلا: « قصيدة بديعة يا بوب ، ولكن ينبغى ألا تسميها هومير » . والشاعر الفرنسى بودلير ترجم المؤلفات النثرية للكاتب الأمريكى إدجار ألان بو إلى الفرنسية ، وترجماته تعد درراً من النثر الفرنسى بل إن شعره لم ينل فى حياته إلا القليل من النجاح ، حتى إنه كان يصف نفسه مفتخراً بأنه « مترجم بو » . والروائى الفرنسى العظيم مارسيل بروست بدأ حياته الأدبية بترجمة بعض مؤلفات رسكن من الإنكليزية . وكلا بودلير وبروست يقدم مثالا رفيعاً لأدباء استمدوا إلهاماً عظيما من كتابات مؤلفين قاموا بترجمتهم

ولورنس بلاد العرب قام بترجمة نثرية للأوديسة ، بينما قام الروائى د . ﻫ . لورنس الذى قد يعد أعظم روائيى انكلترا فى القرن العشرين بترجمة روايات إيطالية عديدة ، وإحدى هذه وهى رواية Mastro—Don Gesualdo لمؤلفها جوفانى فيرجا ، تستحق من الشهرة أكثر مما لقيت ، ولورنس نفسه قد وصفها بأنها : « كتاب عظيم مخلد ، إحدى أعظم روايات أوربا » . وهناك رجل آخر أسدى إلى الأدب يداً بيضاء بترجمته ، وهو سكوت منكريف الذى ترجم رواية بروست الضخمة إلى الإنكليزية ، والترجمة الإنكليزية فى اثنى عشر مجلداً ، قام هو بترجمة جميعها إلا المجلدين الأخيرين ، إذ حال الموت بينه وبين إتمام هذا العمل العظيم . ويقال إنه فى زمن ما كانت عادة أغلب الناس فى باريس أن يقرأوا رواية بروست لا فى الفرنسية الأصلية ، بل فى الترجمة الإنكليزية . فهل يطمع مترجم فى ثناء أبلغ من هذا الثناء ؟

إن ترجمة الكتب الأجنبية كان لها على أدبنا الإنكليزى آثار عظيمة بالغة ، وأبرز مثل لهذا هو الكتاب المقدس ، فالكتاب المقدس فى الإنكليزية ما للقرآن الشريف فى العربية ، هو ليس أساس التفكير الدينى فحسب ، بل هو قد صار قسما من الأدب ، ومثالا للكتابة النثرية الفائقة

بل إن التأثيرات العظيمة التى تأثر بها الأدب الإنكليزى فى مختلف العصور كانت كلها راجعة إلى الترجمة . إليك مثلا الترجمات المختلفة للقرآن ، أول ترجمة للقرآن إلى لغة أجنبية كانت ترجمة لاتينية قام بها فى سنة ١١٤١ بطرس رئيس دير كلونى ، وعاونه ثلاثة متعلمين مسيحيين وعربى ، وظهرت أول ترجمة انكليزية فى سنة ١٦٤٩ ، ومن يومها طبعت ترجمات عديدة أخرى أشهرها ترجمات سيل وردويل وبالمر ومرمديوك بكثال ، وهذا الأخير هو انكليزى مسلم ، ألف عدداً من الروايات والقصص عن الشرق

ولكن الكتاب العربى الذى كان له أبلغ الأثر على أوربا هو ألف ليلة وليلة . وقد ظهرت له ترجمتان إنكليزيتان جيدتان قام بهما إدوارد لين وسير ريتشارد بيرتون ، وإن لم تكن هاتان أول ترجمة للكتاب . والمستشرق البريطانى ﻫ . ا . ر . جب يقول عن أثر هذه الترجمات الأولى لألف ليلة وليلة : « ليس من شطط القول أن نقول إن هذه الترجمة أمدت الكتاب الشعبيين بالهدف الذى طالما نشدوه ، وإنه لولا ألف ليلة وليلة لما وجد روبنصن كروزو ، بل ربما لم توجد رحلات جلليفر » .[1] بل قد قال بعضهم إن دانييل ديفو استمد إلهام روبنصن كروزو من قصة حى بن يقظان التى ألفها ابن طفيل ، وكان قد ترجمها إلى اللاتينية المستشرق الإنكليزى القديم بوكوك . ويجب أن نذكر فى هذا الصدد أيضاً ترجمة فتزجرالد لرباعيات عمر الخيام ، وهى إن كانت ترجمة شديدة التصرف فقد كان ملهمها الشاعر والمنجم الفارسى .

كما قد زعم البعض أن رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى كان لها تأثير كبير على دانتى فى كتابه « الكوميديا الإلهية » . ومهما يكن من شىء فمن المحتمل أن عناصر إسلامية كثيرة توجد فى هذا العمل العظيم لدانتى وعن هذا يقول الأستاذ جب : « إن الاهتمام الذى كانت تتبع به الدراسات العربية فى إيطاليا فى زمن دانتى لا تجعل هذه النظرية أمراً مستحيل التصديق ، وإن لم يكن من المستطاع بعد إثبات هذا إثباتاً جازماً إلا فى الجزئيات . ولكن هذه النظرية نظرية جذابة ، وأقل ما يجعلها ذات جاذبية إنها لو صحت لازدادت عبقرية دانتى سمواً ، إذ تكون قد ألفت فى وحدة منسجمة رائعة بين التراث المسيحى والصوفى القديم العظيم ، وتجارب الإسلام الدينية ذات الغنى الروحى الزاخر . »[1]

أما عن ترجمة المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية ، فنقول إن العرب قاموا بترجمات من اللغة اليونانية تعد من خير الأمثلة التاريخية على الفضل العظيم الذى يسديه المترجم إلى الجنس البشرى قاطبة . كثير من المؤلفات الطبية والعلمية الأصيلة التى ألفها عظماء مؤلفى اليونان قد ضاعت ، ولكن كثيرا من هذه المؤلفات المفقودة لا تزال موجودة فى ترجمتها العربية ، وهذا من حسن حظ العالم بأجمعه . ويمكننا أن نذكر من كبار مترجمى العرب أبا يحيى ابن البطريق ، وهو من أول من ترجموا من اليونانية ، وثابت بن قرة ، ولكن أشهرهم جميعا هو بلا شك حنين بن إسحق ، الذى كان يلقب بشيخ المترجمين . ومما يدل على علو مكانة الترجمة فى العصر العباسى الأول أن حنينا كان يعطى له راتب شهرى سخى ، وأن الخليفة المأمون كان يعطيه

(١) المقالة عن « الأدب » فى كتاب « تراث الاسلام » أكسفورد .

زنة كتبه المترجمة ذهبا . ومن الترجمات العربية التي أنقذت من الفناء نصا مفقودا كتاب ابن المقفع « كليلة ودمنة » ، الذي كان أصله باللغة السنسكريتية ، والكتاب العربي مترجم من ترجمة فارسية للكتاب السنسكريتي، وكلا الكتابين السنسكريتي والفارسي قد ضاعا ، حتى صارت الترجمة العربية أصل جميع الترجمات الموجودة الآن للكتاب في كل لغات الدنيا . ومما يدل على الأثر العظيم الذي كان لهذا الكتاب أنه كان أحد المصادر التي استمد منها الشاعر الفرنسي لا فونتين قصصه الخرافية عن الحيوان .

ولقد كان للترجمة أثر عظيم في النهضة الحديثة للأدب العربي ، ومحمد على نفسه قد أدرك ضرورة القيام بترجمة الكتب العلمية الفنية من اللغات الأوربية فأسس مدرسة للترجمة وجعل مديرها الكاتب القدير الشيخ رفاعة الطهطاوي ، وقد عرفت فيما بعد بمدرسة الألسن . وقد قام رفاعة نفسه بترجمة عدد كبير من الكتب الجدية من اللغة الفرنسية في التاريخ والجغرافيا والفلك والقانون وغيرها من الموضوعات . وكان محمد على هو الذي بدأ إرسال البعوث العلمية إلى أوربا ، ويقال إنه عند رجوع الطلبة إلى مصر كان كل منهم يعطى كتابا في الموضوع الذي درسه ويحبس في القلعة ثلاثة أشهر حتى يترجم الكتاب إلى اللغة التركية . ثم تطبع هذه الكتب وتستعمل في المدارس . فاذا جئنا إلى الأجيال الأخيرة تسارعت إلى أذهاننا أسماء رجال كثيرين خدموا الأدب العربي أجل خدمة بترجماتهم . فما لا شك فيه أن من أعظم الآثار على الأدب العربي الحديث الأثر الذي تركه المنفلوطي ، والجزء الأكبر من مؤلفاته ترجمة أو كتابة ألهمها الأدب الغربي . ولقد بلغ من شعوره بحاجة الأدب العربي إلى دم جديد أنه على الرغم من عدم معرفته هو باللغات الأوربية تكبد مشقة العثور على رجال يعرفونها وطلب إليهم أن يترجموا له الكتب الأوربية ثم يقوم هو بصوغها في قالب عربي حر . حقا إن الكتاب المعاصرين قد أمطروا المنفلوطي بسهام نقدهم المر ، وهو نقد لا شك في عدله ، وبخاصة مقالة العقاد عن المنفلوطي ، فكتابات المنفلوطي بها عيوب ونقائص كثيرة ، ولكن على الرغم من هذا كله فان أياديه على الأدب العربي الحديث يجب الايستهان بها . ومن المترجمين المعاصرين يمكننا أن نذكر أحمد حسن الزيات ، مترجم « آلام فرتر » ، والدكتور محمد عوض محمد ، مترجم « فاوست » لجوته ، ومحمد السباعي ، الذي ترجم إلى العربية كثيرا من روايات ديكنز كما نظم بالعربية رباعيات الخيام ، وحافظ ابراهيم الذي ترجم « البؤساء » لهيجو. ويلزمنا أن نذكر أيضا ترجمات احمد الصاوي في « مجلتي » والعمل الذي تقوم به اليوم لجنة التأليف والترجمة . إلا أنه لا يزال أمام المترجم العربي كنوز زاخرة ، وبخاصة أن القارئ العربي والكاتب العربي في يومنا هذا قد أخذ يزيد اهتمامهما بالقوالب الأدبية الرائجة الآن في الغرب كالرواية والقصة القصيرة .

هذا وأحب أن أكرر أن الترجمة ليست عملا آليا بحال ، وأنها ليست مجرد وضع كلمة محل كلمة ؛ بل هي فن ، وهو فن لا يزال في المهد صبيا . ولقد ظهر حديثا في بلادنا عدة كتب تدور على فن الترجمة . وسأقتبس من أحد هذه الكتب القطعة الآتية التي تبين أهمية هذا الفن : « لا شيء يتحرك بدون ترجمة ؛ فالتجربة الإنسانية تتضمنها عبارات ثلاث : العواطف ، وطرق التأدية ، والفكر . فالعواطف (مثل الخوف الخ ...) لا تتغير طبيعتها ، أما الفكر وطرق التأدية فتتغير . فإذا حدث تغير في الفكر أو طرق التأدية فلن يقدر له الشيوع والانتقال بغير الترجمة ، لأنه لكي يشيع يجب أن ينتقل من أمة إلى أمة ، أي من لغة إلى لغة . » (١)

إن العالم الحديث يدرك الآن أن الأمم ، كالأفراد ، يجب أن تتعاون إذا أرادت الظفر بالسلام والسعادة والرخاء . كذلك شأن الأدب . الأدب كالتجارة ، يجب أن يكون دائما في حركة مستمرة ، يجب أن يكون فيه على الدوام دخل وخرج ، أخذ بين الأمم المختلفة . فالذي يقوم بوظيفة التاجر في هذه المعاملات الحيوية هو المترجم .

[عن مجلة الأدب والفن الانكليزية]

د . جونسون دافيز

(١) E. S. Bates : Intertraffic Jonathan Cape

من عجـائب التصحيف

للأسـتاذ محمود عزت عرفة

[مهداة إلى الأسـتاذ على الطنطاوى ، رجاء ألا ينفذ وعيده من هجر الكتابة وكسر القلم ، احتجاجاً على ما تمنى به مقالاته البارعة من مشوهات التصحيف والتحريف].

لو يعلم الأستاذ الجليل على الطنطاوى أنى لا أكاد أقع على تصحيف واحد فى مقالاته ، إلا أن ينبه هو عليه بتصحيحه فى ذيل مقالة تالية لأخذ منه العجب مأخذه . ذلك أنى أقرأ عباراته على صحتها ، وأتناولها فى الأغلب على وجهها ؛ فيسبق لسانى إلى كلمة (المضرى) مثلا ، وهى أمام عينى محرفة إلى (المصرى) ، ولا أكاد أتنبه إلى أن (يطير به) تصحفت إلى (يطربه) الخ . وما أشك فى أن كثيراً من قراء « الرسالة » يفعلون ذلك دون تكلف أو عناء .

ولست أعرِّف الأستاذ بمجهول لديه حين أقول إن التصحيف والتحريف والتبديل والتطبيع ، هى ضرائر فى لغتنا لا مخلص لنا منها ، مرجعها إلى تشابه بين بعض الحروف لا يجدى معه شكل أو إعجام . وأين نقع نحن من أسلافنا — أرباب الفصاحة وفرسان البيان — وهم قد أتوا من فنون هـذا التصحيف بما أضحك منهم الثكالى وجفف دموع الباكيات ؟ بل أين من سلم فى القدماء والمحدثين من هذه الآفة ، أو تَهدَّى إلى وجه الخلاص منها ، إلا أن يكون — على حد قول العسكرى صاحب كتاب « التصحيف والتحريف » — « ممن افتن فى العلوم ، ولقى العلماء والرواة والمتقدمين فى صناعتهم ، المتقنين لما حفظوه ، وأخذ من أفواه الرجال ، ولم يعوِّل على الكتب الصحفية ، ولم يؤثر شدة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقيب ... » ؟

هذا كتاب الله الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ... لم يسلم ممن يعرض له بالتصحيف والتحريف ، وهو ما هو سرياناً على ألسنة المسلمين ، والتياطاً بقلوبهم ، وتمكناً من صدورهم ، لولا أن صدق الله فيه وعده : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

فقد ذكروا أن حماد بن الزبرقان ، المقرئ الراوية ، كان يصحف ألفاظاً فى القرآن لو قرئ بها لكان صواباً ، لأنه حفظ القرآن من مصحف ولم يقرأه على شيخ ، فكان مما يغلط فيه : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه » يريد « إياه » . وكان يقرأ : « بل الذين كفروا فى غرة وشقاق » والصواب « عزة » . ويقرأ : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يَعنيه » بدل « يُغنيه » .

وقرأ عثمان بن أبى شيبة على أصحابه فى التفسير : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ، يعنى قالها كأول البقرة (ألف ، لام ، ميم) . وحدث عنه إسماعيل بن محمد البسرى قال : سمعت عثمان ابن أبى شيبة يقرأ : « وجعل السقاية فى رِجل أخيه » فقلت له : ما هذا ؟ قال : تحت الجيم واحد ! وكان أيضاً يقرأ : « وما علمتم من (الخوارج) مكلِّبين » !

وينسب أصحاب حمزة الزيات إليه أنه كان يتعلم القرآن من المصحف ، وأنه قرأ يوماً وأبوه يسمع : « ألم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه » ، فزجره أبوه وقال : دع المصحف وتلقَّن من أفواه الرجال !

وكان محمد بن الحسن العطار المقرئ — المعروف بابن مُقسم — يتلو قوله تعالى : « فلما استيأسوا منه خلصوا نجباء ... » بالباء والهمزة فى آخره . ويقرأ بحروف أخرى تخالف الإجماع ويتمحَّل لها وجوهاً بعيدة من اللغة والمعنى . قال أحمد الفرضى : رأيت فى المنام كأنى فى المسجد الجامع أصلى مع الناس ، وكأن ابن مقسم قد ولى ظهره للقبلة وهو يصلى مستدبرَها ، فأوَّلت ذلك مخالفته الأئمة فيما اختاره لنفسه من القراءات

هذا طرف مما أُثر عن تصحيفات القراء ... أما « المحدِّثون » فلهم فى ذلك ما يستخرج العجب . قال أبو على الرازى : كان عندنا شيخ يروى الحديث — من المغفلين — فروَى يوماً أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام آجُرَّة ! يعنى أجره

وحدث ابن شهاب قال : أخبرنى عبد الله بن ثعلبة أن النبى

صلى الله عليه وسلم مسح وجهه « من القبح » — قال أحمد بن حنبل : أخطأ وصحّف ، إنما هو « زمن الفتح » .

وفى الحديث : إن الكافر ليجرُّ لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس . حرفه بعضهم فقال : ليجرلسانه فى سجّين ... والأول هو الصحيح

وأغرب من هذا ماحكاه القاضى أحمد بن كامل قال : حضرت بعض مشايخ الحديث من المغفلين فقال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جبريل ، عن الله ، عن رجل قال : فنظرت فقلت: من هذا الذى يصلح أن يكون شيخ الله ؟ فإذا هو قد صحّفه ، وحقّه — عز وجل —

وصحف رجل قول النبى صلى الله عليه وسلم: عم الرجل صِنْوُ أبيه . فقال : غم الرجل ضيق أبيه

وصحفوا : لا يرث حَميلٌ إلا ببيّنة (والحميل الدعىُّ فى نسبه) فقالوا : لا يرث جيل إلا بثينة !

ومن الأحاديث المصحفة قوله عليه الصلوات : أتحبون أن تكونوا كالحمر الضالة ؟ قالوا : هى (الصالة) بالصاد المهملة — يقال للحمار الوحشى الحاد الصوت ، صال وصلصال ، كأنه يريد الصحيحة الأجساد الشديدة الأصوات لقوتها ونشاطها

***

وللأدباء والنحاة وعلماء اللغة تصحيفات كثيرة تتبّع بعضهم بعضاً فيها فأكثروا التتبع حتى افتضحوا جميعاً . ولا تكاد تخلو مجموعة لغوية من فصل يعقد لهذا النوع المتعنّت من النقد . ونحن نبدأ فى هذا المقام بذكر السقطة التى أخذوها على الجاحظ (رحمه الله) ، لأنه كان ممن لا ينفك يتتبع سقطات الرجال ، بل ليتزيد عليهم من القول بما يدعهم مضغة الأفواه وأضحوكة المحافل ... قال العسكرى فى كتابه : سمعت من يحكى عن ابن دريد — ولم أسمع هذه الحكاية منه — أنه قال : وجدت للجاحظ فى كتاب البيان والتبيين تصحيفاً شنيعاً فى الموضع الذى يقول فيه : حدثنى محمد بن سلام قال : سمعت يونس يقول : ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر(١) : وإنما هو عن البُتّىّ (بضم الباء وكسر التاء مشددة) أى عن عثمان البتّى وكان فصيحاً ؛ فأما النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا شك عند المسلم والذمى أنه كان أفصح الناس . فهذا تصحيف أبى عثمان الجاحظ !

وجلس اللحيانى (أبو الحسن على بن المبارك) يملى نوادره يوماً فقال : مُثقّل استعان بذقنه . فقام إليه يعقوب بن السكيت وهوحدَث فقال : يا أبا الحسن ، إنما العرب تقول : مثقل استعان بدُفّيه ، يريدون الجمل إذا نهض بالحمْل استعان بجنبيه . فقطع اللحيانى الإملاء ، فلما كان فى المجلس الثانى أملَى فقال : تقول العرب : هوجارى مكاشرى (بشين معجمة) ، فقام يعقوب فقال: أعزك الله ، ما معنى مكاشرى ؟ إنما هو مكاسرى ، كِسْر بيتى إلى كسر بيته . فقطع اللحيانى الإملاء بعد ذلك ...

وحدث أبو العيناء قال : كتبت إلى صديق لى : جُعلت فداك من السوء كله ! فلقينى بعد ذلك فقال لى : إنما أستفيد أبداً منك — لا عدمتُ ذاك — وقد كتبتَ إلى : جعلت فداك من الشوكة . فما الشّوكلة ؟ قال : فعجبت وضحكت ثم قلت: نلتقى بعد هذا وتقع الفائدة !

وحدث عون بن محمد عن أبيه قال : حضرت الأحمر وهو يلقى باباً فى النحو ويقول : تقول العرب أوصيتك أباك ، يريدون بأبيك ، وأوصيتك جارك ، يريدون بجارك ، وأنشد :

عجبتُ من (دهماء) إذ تشكونا ومن أبى (دهماء) إذ يوصينا

جيرانَنا ... كأننا جافونا !

فقال له رجل : أنت تقيس الباب على باطل ، إنما هو : خيراً بها كأننا جافونا . قال : فغضب وقام !

وقرأ رجل يوماً على عبد الله بن الفجع :

ولما نزلنا منزلا طلّه الندى أنيقاً وبستاناً من النور(خاليا)

بالخاء المعجمة — فحرك الفجع رأسه وقال : يا سيد أمه ، فعلى أى شيء كنتم تشربون ؟ ؟ على الخسف(١) ؟ !

ولأجل هذه الشناعة فى التصحيف كانوا يتحاشونه ، ويتداعون إلى ذمه فى أشعارهم . قال ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق :

(١) كنية محمد بن الحسن بن دريد

(١) هكذا فى كتاب التصحيف للعسكرى ولعلها (الحشف) وهو أردأ التمر .

وإنك لن ترى للعلم شيئاً يحققه كأفـواه الرجال
فلا تأخذه من صحف فترمى من التصحيف بالداء العضال

ولم يهج شاعرٌ أبا حاتم السجستاني بأشد مما قال فيه :

إذا أسند القومُ أخبارهم فإسنادُه الصُّحف والهاجس

ومن طرائف أبي نواس قوله في أبان اللاحقي :

صحَّفتْ أمك إذ سمَّتك في المهد (أبانا)
قد علمنا ما أرادتْ ! لم تُرِد إلا (أتانا) !

وتهكم بأحد المبخلين فقال :

رأى (الصيف) مكتوباً فظن بأنه لتصحيفه (ضيف) فقام يواثبه

وهجا سيف الدين بن المشد عوَّاداً فقال :

عوادُنا قد طُمست عينُه فصار بالتصحيف (قوَّادا)
ما عاد إلا لقياداته لأجل ذا سُمِّي (عوادا) !

قال صاحب مطالع البدور : قلت : وإن كان حصل له عمى فأحسن ! !

(البقية في العدد القادم) محمود عزت عرفة

في ركب الوحدة العربية :

الأدب في فلسطين

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٢ —

بين يدي ضروب النثر :

وقفت (في عدد مضى) عند فئة من السلف القريب ، الذين كانوا في مقدمة المنشئين للنهضة الأدبية (في فلسطين) ، والذين نعتبرهم الطليعة المغامرة في هذا الميدان . وفي (ما بين يدى) أتابع ما تقدم بأن أقول :

ويأتي بعد أولئك الأعلام الذين ذكرت ، جماعة قفوا على آثارهم ، وساروا على غرارهم ، فكانوا أساتذة الأدب المبدعين . أنتجوا فيه خير إنتاج ، فكثر مقلدوهم بين شبابنا المتأدبين ، وما يزالون إلى اليوم خير أسوة يؤتسى بها ، ولو ذهبت أتحدث عنهم مفصلاً لضاق بي المجال ، مهما رحب ، فهم (بحمد الله) في غير قلة ، وآثارهم أكثر من أن يشملها صعيد محدود . ولكنهم (من حيث الاختصاص) يكادون يسلكون مسلكاً عجباً ! فالأديب منهم لا يبعد أن يكتب في شؤون التربية أو التاريخ ، والشاعر لا يبالي أن يكتب في العلوم أو السياسة ، والمؤرخ لا يتورع أن يكتب في علم اللغة وآدابها ... ومن هنا تشابه الأمر على واختلط ، ورأيتني ملزماً على أن أتجوز في معنى الأدب ، فأسلك في عداد الأدباء كل من ساهم في ناحية من النواحي الثقافية ، التي قامت عليها النهضة الأدبية الحاضرة وأعتبر هؤلاء الأدباء (على اختلاف مواضيع إنتاجهم) في فئتين ، فريق في (أهل النثر) وفريق في (أهل النظم) .

وسوف أتجنب (التفصيل والتطويل) في تراجم من أقدم بعض آثارهم علماً مني أن ذلك لا يعدو كونه مهاداً [١] Back ground يستقر خلف المنحى الذي أهدف إليه ، وتكاد — إلى حد ما — لا تربطنا به علاقة مباشرة .

ثم إني سأقتصر على ذكر من تركوا آثاراً أدبية — مخطوطة كانت أو مطبوعة — ممن تعرفت إليهم أو (وصلتني) آثارهم . فأبدأ بأعلام الفريق الأول (وهم الناثرون) فأذكر منهم :

الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي (المقدسي) وهو شيخ الأدباء، (وأديب العربية الأكبر) من غير منازع . وله إنتاج أدبي غزير ، فهو ما يفتأ يطالعنا بتآليفه القيمة ، وأبحاثه التي لا ينقطع لها مدد . وبفضل نشاطه الذي لا يفتر أصبح علماً بارزاً في الأقطار العربية جميعها . ومن مؤلفاته المطبوعة (وهي كثيرة) :

الإسلام الصحيح : وهو سفر عظيم الفائدة كبير الحجم . فيه نقد وتحليل ، وفيه توضيح لكثير من الحقائق الغامضة ، ودحض لأشتات من الأباطيل التي سار عليها الناس أمداً طويلاً ، وهم يحسبونها في أصول الدين وما هي منه في شيء . وكل ما في هذا الكتاب رائع ، إلا أن أروع ما فيه تعليقه على كلمة « آل محمد (ص) » ومبلغها في ثنايا الحقيقة والتاريخ .

---

(١) أرى أن (مهاداً) خير ما تعرب به هذه الكلمة . وإن خالفني في ذلك صديقي الأديب الأستاذ عبد الحميد يسين ، وله حجته التي يركن إليها في هذا الخلاف .

ومن كتبه الأخرى : (كلمة فى اللغة العربية) و (البطل الخالد والشاعر الخالد) و (الثورة السورية) ثم (الثورة العراقية) .

ومن كتبه التى لم تطبع — بعد — وما تزال قيد بحثه وعنايته : (أبو العلاء المعرى) و (أمالى النشاشيبى) و (نقل الأديب) .

ولهذا الأستاذ أسلوب يكاد يكون وقفاً عليه . وهو ينم على سعة اطلاعه ، وكثرة ما استوعب فى ذاكرته من مفردات هذه اللغة الكريمة . ومن ذلك قوله فى (اللغة العربية):

« اللغة هى الأمة ، والأمة هى اللغة . وضعف الأولى مقرون بضعف الثانية ... واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحزم الوراث صائن ما ورث ، وأسفههم فى الدنيا مضيع .

وإنا (أمم اللسان الضادى) لعرب ، وإن لغتنا هى العربية ، وهى الإرث الذى ورثناه . وإنا لحقيقون — والآباء هم الآباء ، واللغة هى تلك اللغة — بأن نقى عربية الجنس وعربية اللغة ...

ولو كان الموروثون صغاراً ، ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه . فكيف والتاريخ يقول : إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً ... والزمان يقول إن العربية خير ما صنعت يداى (وإن الدهر لصنع) ، وإنها لخير طرفة أطرفها الناس . والزمان بالخير (وإن جاد) شحيح .

فالعربية الصنع العبقرى للدهر ، والعربية الدرة اليتيمة أو كنز الزمان (ضن به كل الضن ثم سخا) ... » .

والأستاذ أحمد سامح الخالدى (المقدسى) : وهو أبو التربية فى فلسطين . فلقد أنفق شطراً غير قصير من عمره فى مزاولة التوحيد الصحيح والتربية المجدية بين ناشئة الجيل عندنا ، بل بين النخبة من هذه الناشئة ، فى (الكلية العربية) التى يتولى عمادتها .

وله اليوم طلاب عديدون فى طول البلاد وعرضها ، نهلوا من علمه الغزير ، وساروا على النهج الذى رسم لهم خطته ، حتى أصبح فيهم من يشاطره حمل هذا العبء الذى تفرغ لحمله ، ويزامله فى الميدان الذى يعمل فيه .

ولم يكتف الاستاذ (الخالدى) بالتوجيه العملى . ولذا فقد فزع إلى التوجيه النظرى ، فألف فيه كتباً عدة . ليأخذ بنصوصها هؤلاء الذين حرموا نعمة التخرج على يديه . وأذكر منها الكتب التالية : (أركان التدريس) و (إدارة الصفوف) و (أنظمة التعليم) و (طرق التدريس المثلى) ثم (رسالة اختبار الذكاء) . وهى الأولى من نوعها فى العربية .

ولم يقف الأستاذ عند هذا المدى ، بل تخطاه لما عداه . فشرح وأخرج كثيراً من المخطوطات القيمة ، التى لها علاقة مباشرة ببلاد الشام — وفلسطين قسمها الجنوبى — ومنها : (رسالة ترغيب الأنام فى سكنى الشام ، لعز الدين السلمى . و (فضائل بيت المقدس) للواسطى ، و (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) لأبى محمود المقدسى . و (الاعلام بفضائل الشام) للمنينى .

والكتاب الأخير منها صدر منذ أيام ، وهو الآن فى متناول الأيدى . وفضلا عن المقدمة القيمة التى أوضح الأستاذ فيها أموراً مبهمة ، فضاعف بذلك قيمة الكتاب التاريخية . ثم الموجز التاريخى (الذى اتبعه بها) فى سرد تاريخ سورية (الطبيعية) فى القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد . فانه أضاف إليه ملحقاً فى تراجم الصحابة والتابعين (الذين نسبوا إلى الشام أو نزلوا أو استشهدوا أو ماتوا فيها) . فجعله بذلك مرجعاً قيماً للباحثين فى هذا السبيل .

وله (فيما عدا ذلك) كتب أخرى فى العلوم العقلية والأدبية وفى أبحاث شتى . ومنها : (الحياة العقلية) و (أقنعة الحب) و (خفايا النفوس) و (رحلات فى الديار الشامية) .

كما أن له سفراً قيماً — ما يزال بين كتبه المخطوطة — وهو (تاريخ المعاهد الاسلامية) . وقد أولاه (ويوليه) الكثير من عنايته . ويقع فى ثمانية مجلدات ضخمة ، يتناول فيها تطور الثقافة عند المسلمين والعرب فى سائر معاهدهم التى أنشأوها فى الشرق والغرب (ما خلا الأندلس) . ثم كيف كانت هذه الثقافة توجه لأغراض شريفة وأهداف سامية .

وهو الآن يكاد يفرغ من كتاب جديد — لعله أول كتاب فى بابه — وعنوانه : (الأردن فى التاريخ الاسلامى) .

وأسلوب الأستاذ فى سائر مؤلفاته سلس بيّن ، خال من التعقيد والتصنع . فاسمعه حين يصف (التعليم) فيقول :

« التعليم فن ، والمعلم فنان ، وكما ينحت المثّال من الحجر الأصم تمثالا بالشكل الذى يريده ، فيصوغ منه ما يشاء من رموز الحياة ومعانيها ، حتى ليخيل إليك أن الحياة تنبض فيه ، كذلك يفعل المعلم !

غير أن المواد التى يعالجها المعلم مواد حية ، حساسة شاعرة متأثرة .تدفعها ميول وغرائز، وبواعث شديدة التأثر والانفعال : مواد هى أرق ما صاغته يد الخالق ، قابلة للتكييف ، تابعة لسنة التطور ، نامية فيها حياة وقوة .

هذه المواد ، وهذه الوديعة الثمينة — التى يعهد بها إلى المعلم ، وتترك إلى عنايته — هى الطفل ... » .

ثم الدكتور إسحق موسى الحسينى (القدسى): وهذا العالم الدؤوب — بالرغم من أنه يتخطى غضارة العقد الرابع من سنيه — ما زال يفاجئنا بين الفينة والفينة بسفر قيم ، أو مشروع يرمى إلى إحياء الأدب أو تنشيط النهضة الثقافية .

ولقد صدر له إلى اليوم مؤلفات يخطئها الحصر وهى — إلى جانب ذلك — لطيفة الحجوم ، إلا أنها (رغم ذلك) غزيرة الفائدة ، يحدثك كل وجه فيها عما اقتضاه إعداده من بحث وتدقيق ، واستقراء وتحليل . ومن هذه الكتب :

(مذكرات دجاجة) وقد صدر فى سلسلة (اقرأ) . ونال الجائزة الأولى لاتفاق القراء على تفضيله ، و (عودة السفينة) : وهو مجموعة مقالات ترمى إلى هدف واحد ، هو العودة بهذه الأمة إلى ماضى عهدها المجيد ، وأيامها اللامعة المشرقة .

كما أن له كتباً مخطوطة ، ما يزال فى سبيل إعدادها . منها كتاب جامع عن (ابن قتيبة) وفيه دراسات وافية لآثاره ، وسفر كبير عن (الجامعات الاسلامية) يتناول فيه تاريخ نشوئها والأسباب التى كانت تدعو إلى ذلك . والدكتور فى أسلوبه يميل إلى البساطة واليسر ، وملاحقة المعنى دون المبنى . وإليك نمطاً من ذلك قوله فى كتابه (عودة السفينة) :

« إن العالم باق وإن اختلفت مذاهب الناس فيه ، وإن التهمت الحروب كل عام الملايين من سكانه . بل ما دام فيه إنسان واحد .

وهذا الانسان لن يفنى . إنه سيعيد سيرة جده آدم ، وسيبدأ العالم من جديد ...

ولهذا يجب أن نؤمن إيماناً لا يتزعزع بوجودنا وبعودتنا ، وعلى الذين يغمرهم الجزع فى الحاضر أن يلتفتوا مرة إلى الماضى ومرتين إلى المستقبل ...

إننا لن نلقى على الماضى إلا نظرة واحدة ، أما المستقبل فله منا نظرتان وإننا لنعلم أن الوقت لا ينتظرنا حتى نبدأ من حيث انتهى آباؤنا ، ومن حيث ابتدأت الأمم الراقية . سنبدأ من حيث انتهت ، وسنأخذ من كل جديد نهايته ، وسنغرف من الحضارة الأوربية ما يطلق مواهبنا إلى غاياتها ، وما يبعث تراثنا من جديد ...

أجل : إننا سنعود إلى القمة حيث كنا ، وستعود السفينة إلى شاطىء السلامة باسم الله مجراها ومرساها ... » .

(له تكملة)

محمد سليم الرشدان
(ماجستير فى الآداب واللغات السامية)

تطـــــور الآراء
عن أصل الـكائنات الحية

للدكتور فضل أبو بـكر

لقد أصبح الآن فى حكم البدهيات معرفة أن كل كائن حى إنما يولد من كائن حى آخر سالف من نفس النوع ، وهذه العقيدة التى ندين بها الآن والتى يرتـكز عليها علم الحياة (البيولوجى) وعلم الطب والصحة كانت موضع أخذ ورد وجدال عنيف بين العلماء ولم يسلموا بها إلا بعد مئات من السنين .

اعتقد العلماء حيناً من الدهر فيما سموه بال « Jénération Spontanée » أى « الجيل التلقائى الذاتى » بمعنى أن الأحياء الضعيفة من حشرات وديدان وهوام وميكروبات إنما تولد من تلقاء نفسها من غير حاجة إلى أسلاف وآباء من الأحياء بل تنشأ من البيئة الجامدية التى خرجت منها .

فأرسطاطاليس الذى عاش من سنة ٣٨٤ إلى سنة ٣٢٢ قبل الميلاد والذى كان أكبر عالم فى البيولوجى فى زمانه كان يعتقد فى هذا الجيل التلقائى وظن أن كل جسم جاف فى وسعه أن يلد كائنات حية إذا ما بللته قطرات الماء وأروت عطاشه ... فتلك الحشرة إنما خلقت من الزهرة أو من الطين والوحل ، وتلك الديدان تـكونت من المواد المتعفنة من لحم وجبن والديدان التى تعيش متطفلة فى أمعاء الإنسان خلقت من المواد البرازية .

كذلك الفيلسوف ابن سينا (٩٨٠ إلى ١٠٣٧ م) لم يشذ عما سبقه وعاصره من العلماء والفلاسفة وأكد أن كثيراً من الأحياء تتولد من جيف الجثث التى تلفظها الأنهار وقت الفيضان .

أما الفيلسوف الإنجليزى « فرنسيس بيكن » (١٥٦١ إلى ١٦٢٦) فقد خطا خطوة إلى الأمام وأثبت نظرياً بأن قليلا من الأحياء يكون توالدها نتيجة لانقسامات أو تلقيح لأحياء أخرى ، ولـكن الأغلبية إنما تتناسل من الجمادات والمواد المنحلة التى تعيش عليها ، ومن هذه الأخيرة يذكر الضفادع والذباب والقمل والبق والبرقوت والجراد والديدان والعنكبوت

أما العالم الهولندى « Van Helmont » « ڤان هلمنت » (١٥٧٧ إلى ١٦٤٤) فـكان يعتقد أن بعض الضفادع والقواقع تنشأ قرب المياه الراكدة مثل البرك والمستنقعات حيث أن النسيم الذى يهب من ناحية تلك المياه والروائح المتصاعدة منها تنفخ الروح فى تلك الحيوانات وتخلقها ، وكان يقوم ببعض تجارب غاية فى الغرابة مثال ذلك تجربته الآتية : —

« خذ قطعة من الطوب واثقبها ثم ضع حزمة من نبات الريحان على الثقب ثم غط قطعة الطوب بقطعة أخرى وعرضها لحرارة الشمس عدة أيام تجد قد تكونت عدة عقارب صغيرة وما نبات الريحان إلا بمثابة الخميرة التى ساعدت على تكوين العقارب » ولـكى تخلق بعض الفيران فالمسألة غاية فى البساطة كما ترى فى التجربة الآتية « ضع قميص امرأة — والأفضل أن يكون متسخاً فى إناء مملوء بحب القمح واترك الإناء بمحتوياته مدة ٢١ يوماً وبعدها تجد أن بعض حبات القمح قد تحولت إلى فيران بعضها ذكور والبعض الآخر إناث وذلك بفعل « الخميرة » التى توجد فى قميص « المرأة » .

إلى أن جاء العالم والفيلسوف الطليانى « Francesco Redi » « فرنسسكو ريدى » وقد كان أول عالم فند فكرة الجيل التلقائى وهزىء من آراء الأقدمين وأثبت بطلانها عملياً . أجرى تجربة بـكل دقة وذلك أنه أخذ قطعة من لحم طازج وشطرها شطرين ثم وضع كل جزء فى إناء غطى أحدهما وترك الآخر مفتوحاً وتركهما عدة أيام ثم فحصهما بعد ذلك فلم يجد أثراً للدود فى الإناء المغطى بينما كان الإناء المكشوف يعج بالدود عجيجاً ، ثم أخذ الإناء الأول أى المغطى تغطية محكمة وغطاه بمنسوج من سلك رفيع يسمح بدخول الهواء فى الإناء وتركه عدة أيام ثم فحصه فلم يجد أثراً للديدان فاستنتج من هذه التجربة بأنه ليس عدم الهواء هو المانع لتـكوين الدود فى المواد المتعفنة ، وإنما الذى يحول عن تكوينها هو الحيلولة بينها وبين بعض الحشرات مثل الذباب الذى يضع بويضاته على تلك المواد وتفقس تلك البويضات وتكون الدود ، وهذه التجربة على ما بها من سهولة وبساطة أدت خدمة كبيرة .

وفى ســـــنة ١٦٧٤ جاء العالم البكتريولوجى الهولندى

« Leeuwenhoeck » « ليو نهوك » وأعاد تجارب العالم ريدى وآمن بها ولكنه زعم أن هذه التجربة لا يمكن تطبيقها على كل الأحياء .

وفى سنة ١٧٦٥ علا نجم العالم الفسيولوجى الطلياني Spallanzani « اسبالانزانى » الذى اهتم كثيراً بمسألة الجيل الذاتى التلقائى وقام ببعض التجارب ، منها أنه وضع فى بعض أنابيب الاختبار قليلا من الحساء المكون من مرق اللحم والخضار وقفل بعض الأنابيب قفلا محكما بإذابة زجاج أحد طرفيها ووضعها فى إناء يحوى ماء يغلى لمدة نصف ساعة . كما ترك البعض الآخر من الأنابيب مفتوحاً فوجد أن الأنابيب الأولى لا تحوى أحياء بينما الثانية مملوءة بالأحياء ، واستنتج من كل ذلك أنه لكى تعيش هذه الأحياء لا بد لها من عاملين : عامل الهواء والحرارة المناسبة فاذا ارتفعت الحرارة لدرجة لا تناسبها أبادتها وقضت عليها .

أما العالم الكروبيولوجى « نيدهام » « Needham » (١٦١٣ إلى سنة ١٧٨١) فلم يعتقد فى صحة آراء « اسبالانزانى » وكان شديد التعصب لفكرة الجيل التلقائى .

وهنالك بعض الفلاسفة مثل «شوبنهور» و«ليبنز Leibniz» وفلتير هاجموا فكرة الجيل التلقائى إذ أنها غير منطقية ولا معقولة ، سيما فلتير فقد أعجب كثيراً من نظرية العالم الإيطالى اسبالانزانى وانتقد بأسلوبه التهكمى اللاذع العالم الايرلندى « نيدهام » وسخر من آرائه ، وألف كتاباً سماه شواذ الطبيعة « Singularités de la Nature »

هذا وقد انقسم العلماء إلى فريقين : فريق — وقد أصبحوا أقلية — يعتقد فى تكون الكروبات والأحياء الدنيا من الجماد والمواد العضوية المتعفنة . وفريق — وهم الأغلبية — قد اعتقدوا فى حقيقة الجرثومة «Jerme» وأن الأحياء لا تنشأ إلا من جرثومة حية . إلى أن جاء العالم الفرنسى الأكبر « Louis Pasteur » « لوى باستير » الذى يعتبر بحق أكبر رجل خدم الانسانية باكتشافاته العديدة والتى غيرت مجرى الطب والجراحة بل وكل علم الأحياء مما كان له الفضل فى إنقاذ البشرية ، ولا يتسع المجال فى مثل هذه العجالة للخوض فى اكتشافات باستير فقد وصفت فى عدة مجلدات ، ونذكر منها ما يهمنا فيما نحن بصدده . ولد باستير سنة ١٨٢٢ وتوفى فى عام ١٨٩٥ بدأ حياته العلمية كعالم كيميائى ، وله فى هذا العلم اكتشافات قيمة ، ولكنه منذ عام ١٨٥٧ م بدأ يهتم بعلم الكروبيولوجى فدرس عملية التخمير الكحولى واللبنى وأثبت أن عملية التخمير لا تأتى عرضاً أو عن طريق المصادفة وإنما تسببها كائنات حية تسمى ال« Levures »الخميرة ، وقد أثبت ذلك بتجارب علمية غاية فى الاتقان ، وقد تصدى له كثير من العلماء المعاصرين فى ذلك الوقت ودارت بينه وبينهم مناقشات تاريخية عنيفة عدة أشهر اضطرتهم أخيراً إلى التسليم . وقد أثبت كذلك بأن ظاهرة الانحلال والتعفن التى نشاهدها إنما هى نتيجة لفعل الكروبات وليست الكروبات محلولة من تلك المواد العضوية المنحلة وهذه الكروبات توجد فى الهواء وفى الماء وعلى الأرض ، وأنها تتجمع على تلك المواد العضوية لتقتات منها وتستمد منها قوتها كما تتخذها مهداً لذريتها ، وهذه الكروبات تتوالد بسرعة مدهشة وبكميات وفيرة ، وذلك لضعفها وفتك عوادى الطبيعة بها من حر لافح وبرد قارس ، فلكى تحفظ نسلها ونوعها كان لزاماً عليها أن تتوالد بكثرة على حد قول الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخاً   وأم الصقر مقلاة نزور

وقد يرى القارىء مما تقدم ذكره بأن علم البيولوجى ولا سيما ما يختص منه بعالم الكروبات كان بطيء التطور والتقدم ، وما زال كذلك بالنسبة لعلوم الطبيعة الأخرى مثل الكيمياء والطبيعة وعلم الفلك والمكنيكا التى نهض بها العلماء منذ أجيال بعيدة وبلغت الآن من الاتقان شأواً بعيداً ، ولا نكون مبالغين إن قلنا بأن حضارتنا الحالية إنما نشأت من تقدم هذه العلوم وتطبيقها .

أما علم البيولوجى فأظن أن من أهم أسباب تأخره هى صعوبة الموضوع فهو حقاً شائك . خذ الخلية الحيوانية أو الانسانية خاصة وما تحويه من المواد البروتوبلازمية المعقدة التركيب ولاسيما نواة الخلية وكيف أن هذه النواة تتكون من أجسام كروموسومية ، وأن هذه الأخيرة تتكون من أجسام أخرى ، وهى التى تكيف الانسان وتكون طبائعه بل وشخصيته ، كذلك خلايا الجهاز العصبى وأليافه من حيث فسيولوجيتها وتفاعلاتها الحسية والنفسية كل ذلك غاية فى الدقة وما زال بعضها سراً غامضاً إلى الآن .

فضل أبو بكر

إلى المجمع اللغوي :

الأسماك في الشواطئ الحضرمية

للأستاذ علي عبود العلوي

— ٢ —

ومن حديثهم أن الأسماك تنقسم إلى ستة فصائل .

١ — الفصيلة الأولى :

وهي ما يسمونه بسلطان البحر واسمه في عرفهم شُوحَط ومن فصيلته : صَيبون ، حاش ، قُفَه .

ويلي هذه الأسماء خمسة أسماء أخرى لأنواع هذه الفصيلة ، وقد غربت عن أذهانهم أو لم يعرفوا أسماءها أصلا .

وبهذه الفصيلة يوجد العنبر وبالأخص فهو كثير الوجود في الشوحَطة ، وفي ثلاثة أسماك أخرى من الخمسة التي لم يحفظوا أسماءها .

٢ — الفصيلة الثانية :

هي فصيلة اللَّخم (بَكلاه) ، وهذا ما أملوه علينا منها : حَيْم ، أبوسَيف ، قُنطُه ، شِرت ، قَرين ، شَفْصه ، هِلك .

هذه الأنواع السبعة من أحسن الفصيلة طعما وهي حسب ترتيبها :

عُوره ، حِيني ، زِفي ، تمراني ، شوط ، كَلْبه ، نَغل ، دِجيل ، حُبوزُوْقي ، دُوغه ، مَسكَح ، شيْخَه ، عَوزَوبز ، غفير ، بُوبيل ، قطقُطه ، خَنِيث ، بَزيِّر ، قَصقُوص ، بيبَر ، صَعمُوز ، قَطيف عَلي ، قطف جمرة .

٣ — الفصيلة الثالثة :

هي الصيد الأسود وهذه أنواعها :

تمده ، زَنبُوب ، شِروي ، ضِريس ، باعَكيمة ، نبشلم ، حَقِيبه .

ومن الستة الأنواع المذكورة يصنع (الحُنيذ) المعروف بهذا الاسم في حضرموت .

٤ — الفصيلة الرابعة :

هي ما يسمى بالصيد الأبيض وهذه أنواعها :

تَرْناك ، غودي . (والنوعان من أطيب الأسماك) .

صَنَك ، مُخخَمه ، شِرام ، رِغي ، زَرَب ، رِحْته ، قَزه ، طِمكَري ، سِهاي ، زِعقنه ، صَليل ، قَفاط ، خِرخار ، عَنفلوص ، صِمباري ، شُتمه ، حِراب ، بُكسه ، غُلس ، ظَرهَده ، طَوبله ، قَرس ، عَنبريه ، تَكَيه .

٥ — الفصيلة الخامسة :

وتسمى بصيد نشار ، وهذه أنواعها :

صِرعه . (وهي أحسن أنواع هذه الفصيلة) :

زُوكي ، حَدرة ، وَبقد ، عَيشطول ، رُغُف ، رِعِن ، خُوذره ، عَندق ، بوعَدل ، غرَيض ، بطاح ، قَرِيبه ، نِسار ، قَرحيق ، أبو قشار ، قلوان ، حَنيوبَر ، جُموره ، طيم ، بهاره ، نيز ، ذَرذَزه ، دُنقره ، حُمران ، صُمرار ، كُتب ، نُكز ، صُراده ، زريه ، بَزيه ، وقاص ، نَاقم ، ضِرير ، مخلول ، مشعا ، رِقاد ، غُمد ، قِشار ، مَرِيتع ، صَبو ، بُوخَنيط ، حَنيدول ، مِلماي ، عنتوب ، شماط ، قَطيم ، بُوليفه ، طَرعين ، دُقنه ، مَغايم ، جزك ، أبو صَندُوق ، شِيغر .

٦ — الفصيلة السادسة :

وهي التي تصاد بالشبكة .

عَنيد ، زُمار ، طُبُوب ، بلعيد ، شغره ، عِرعِره ،

الحركة التربوية في مصر

للدكتور ستانلى جاكسون

ترجمة الأستاذ حسن حبشى

[دكتور ستانلى جاكسون — صاحب هذه المقالات — من رجال التربية والتعليم ، خبرهما فى مصر وفى انجلترا من قبل ، وتتلمذ على يده كثيرون من مدرسى اليوم ، وهو ممن يؤمنون إيماناً عميقاً بتطور الحركة التربوية فى مصر وبأن للتعليم رسالة أكبر من التلقين هى الخلق والتكوين ، وهذه المقالات التى نترجمها على صفحات الرسالة قد انطوت على كثير من الآراء والنظرات الصائبة فيما يتعلق بالتعليم فى حاضره ومستقبله] .

حينما أقلب الطرف فى عناية دقيقة مستوعباً الحالة التعليمية ، ألاحظ أمرين جوهريين فى التعليم المصرى هما علة ضعفه الكبرى ، أولاهما تلك الهوة الشاغرة بين المدارس والمعاهد ذات النظام الشرقى وبين زميلاتها الآخذات بالنمط الغربى ، فالرابطة بين هذين الضربين من المعاهد ضئيلة ، أو تكاد تكون معدومة ، فلقد جرى القائمون بشؤونها — عمداً أو صدفة — على اتباع سياسة الفصل والتفرقة بينهما ؛ أما مصدر الضعف الثانى فهو أن نوع التعليم المتبع فى كلتا المجموعتين أميل لأن يكون تعليما نقلياً صرفاً ، وفى حين آخر يعتمد على استيعاب الكتب ، فهو كان ولا يزال فى معظم نواحيه تعليما جافاً ، لا يرتكز على أسس إنسانية ، بل إنه ليعتمد على التلقين والإصغاء ، وقلما يأبه بالتفكير والإبداع ، أو بعبارة أخرى نستطيع القول بأنه يعنى بتكوين نماذج ، وفى كثير من بقاع العالم يتخلون عنه إيثاراً لتعليم أكثر حرية وأمس بالإنسان رحماً ، وهو تعليم يرى أن أهمية العناية بتنشئة الجسم والعواطف والخلق تكافىء العناية بتربية الذهن ، ولما للظاهرة اللغوية فى التربية من الأهمية فهى جديرة بأن تلقى من العناية العظمى ما أوقن معه أنها صادفته فى مدارس هذا البلد .

من المسائل التى تشغل مكانة عظمى فى تفكيرنا فى الوقت الحاضر مسألة التربية وتأثيراتها على الخلق وفى الأمور الاجتماعية ، وسأشير فى هذا المقال إلى ناحية واحدة فحسب ، هى أن حاجة مصر ستزداد فى أيامها المقبلة إلى القادة ، لاسيما وهى فى طريقها إلى النهوض وفى طموحها لأن تكون لها حياة قومية مستمدة من ذاتيتها ، ولست أعنى « بالقادة » أولئك الرجال العظام رمز الأهمية القومية ، بل أقصد نوعاً من القادة دون هؤلاء يتركز عملهم فى حمل المسئولية ، وفى إخراجهم إلى حيز الوجود خطط الإصلاح الملقاة على عاتقهم ، وأن جميع حركات الإصلاح العظمى — وهى الخطوات الرفيعة فى سبيل رفاهية الإنسانية — لتتوقف كثيراً على زعامة هذه الجماعات الصغيرة ، كما يقع الجانب العملى من هذه الزعامة إلى حد بعيد لا كلياً على أكتاف مدرسى الأمة ، وقد ظهر أن الأمم التى تفشل فى إيجاد عدد كاف من المدرسين والمدرسات الذين تتوفر فيهم الشخصية الأصيلة القوية ، والثقة والجرأة ، إنما هى أمم ترجع القهقرى ؛ وسواء أظهر هؤلاء القادة فى مصر أم لم يظهروا بعد ، إلا أن وجودهم يتوقف كثيراً على ماهية التربية فى البيت وفى المدرسة وفى الكلية ، فلو أن التعليم كان تعليماً إنسانياً من جميع نواحيه ، فسيح الآفاق ، لألفينا كثيرين من هذا الطراز ،

عِنْبد بِمَنْيدُونْ ، شَنْيطِى ، مَنْتُورِى ، حَنْزِيرَه ، كِرَمْشُونْ ، بَاغَهْ ، حَارِسْ .

ملاحظة :

تطيب بعض الأسماك فى وقت ، ولا تستحسن فى الوقت الآخر . مثاله (البِرَنَاكْ) فانه يلذ طعمه في فصل الخريف بحسب التوقيت العالمى كما يوافق فصل الشتاء بحسب التوقيت الحضرمى ولهم فى هذا دليل كما يقول القرزى .

أما (القُوْد) ففى كل وقت فهى لذيذة الطعم .

وفى العَيْد — يعنى صغار السمك — يقول بعض أدباء الحضارمة فى المهجر هازلا :

من لى بوطء ثرى تلك البقاع إذا
ما جئت مستقبلا عودى إلى وطنى
هناك أنشد مسروراً ومفتخراً
(العَيْدُ والصَيد والأسماك تعرفنى)

(يتبع) **على عبود العلوى**

ومع أن هذا الفريق من القادة لا يدعى الزعامة لنفسه ، إلا أنها تتوقف عليه . زد على ذلك أنه هيهات أن يظهر رجال من هذا الضرب إذا ظل التعليم تلقينياً محضاً ، لا يبعث على الاستزادة ، وكان محصوراً في دائرة ضيقة من الأفكار .

ليس من شك في توفر المادة اللازمة لتكوين الزعماء في مصر ، لكن هل ترانا هيأنا ذلك النوع من التربية الذي يمهد السبيل لظهورهم ؟ وهل أعددنا هؤلاء إعداداً تاما لما سيلقى على أكتافهم ؟ إن للتربية الشرقية فوائدها الذاتية ، لكن يظهر أنها غير كفيلة تماما بإنماء الشخصية . ذلك أن آثارها سلبية أكثر منها إيجابية وعلى الرغم من أنها تبز الغربية في نواحي التأمل ، إلا أنها أميل لإيثار التكرار والتقليد على الخلق والتجديد ، وسواء أكان هذا الفهم صوابا أم خطأ إلا أنه يلقى كثيراً من التأييد . وليس معنى ذلك أن البلدان الشرقية تعوزها الشخصيات البارزة العظيمة ، إذ الواقع أن الطبيعة تحافظ على أن تتغلب على ضيق تعليمنا المدرسي ومن ثم فإنها تمدنا — بين حين وآخر — برجال أكفاء شديدي المراس ، بيد أن قوتهم هذه قد ترتبط ارتباطا تاما بالنظرة العامة وبضيقها ، فلا يتسع المجال أمامهم ، ولا يكون لهم ثمت أثر عظيم ، ولما كانت تعوزهم الإحساسات الإنسانية الواسعة فإنهم يفشلون في الزعامة الحقيقية ، ويكون فشلهم على الأخص في اكتساب احترام الجيل الناشيء ، ذلك الاحترام الذي يتطلب على الدوام اتساع أفق التفكير عند رجال ذلك الجيل العظام ، كما يتطلب قياسا خاصا من الكفاءة في معالجة المشكلات العامة ، ومن ثم فإنه إذا شئنا إيجاد زعماء كبار أو صغار احتجنا إلى نمط من التعليم الحر المرن ، وأعني به ذلك الذي يبرز القوى المستترة والعبقريات الدفينة في كل فرد على حدة أكثر مما أعني به ذلك التعليم الذي يطبع الرجال جميعاً على غرار واحد ، ويهبط بمستوى الشخصية عند الفرد منهم ، وقد أثبتت المقارنة بين النمط التلقيني الصرف من التربية وبين النوع المرن على أن الضرب الأول يتمركز أثره قطعاً في النتائج كما هو الحال في الصين مثلا وليس الأمر مقصوراً على عون قوى العقل المبدعة من التقدم أو تمجيد الذاكرة أو إغفال التربية الجثمانية فحسب ، بل هناك ما يؤدي إلى هذه الناحية الخطرة ألا وهو انعدام التربية الاجتماعية التي سأشير إليها فيما بعد ، إذ أن التربية أجل من أن تكون تلقينا بحتاً ، كما أن التعليم الحر يشمل اليوم كثيراً من نواحي النشاط داخل المدرسة وخارجها ، وحيثما يرى الشخص نفسه صالحة للحياة العامة وللاندماج فيها ، فهو يتعلم كيف يعامل الناس وكيف « يأخذ ويعطي » ، وكيف يكيف نفسه بما يتفق وحاجات الجماعة ، ويدرك أين يتحتم عليه تناسي أهوائه الشخصية وهيهات أن يسلس قياد الإدارة للزعماء مالم يعرف الأتباع كيف يتبعون ، ومن ثم فإن مهارة روح الجماعة أو بعبارة أخرى القدرة على اتباع قائد لا تقل أهمية عن قوة القيادة نفسها ، بيد أنها لا تكتسب في يوم ، ولا نستطيع القول بأنها لقيت في نظم التعليم الشرقية ما تستأهله من العناية وما يجدر بها من الأهمية .

إذا أرشدنا إلى هذه العيوب في تعليمنا ، فينبغي ألا نتناسى أن بعضها موجود في المدارس الغربية ، فالمتحذلقون يعوقون المربين في كل مكان ، كما أن ضيق أفق الذهن لهو خطيئة المدرسين الكبرى في جميع بقاع العالم ، فالتطرف من المصلحين هو في الغالب رجل ضيق الذهن لكنه مع ذلك رجل من نوع جديد ، ولقد ألف الشرق التحمس للآراء الغربية ، ومن ثم غدا أسير الجدة حتى لقد نبذ كل شيء شرقي وراءه ظهريا ، فعلى الرغم من أن الرجل ولد شرقيا إلا أنه أصبح يزدري أساليب التفكير الشرقية ولربما لج في تطرفه فثار ثورة شديدة على عواطف شعبه ، وقد يسرف فيناصب أسرته العداء ، ومن حسن الحظ أن من على هذا المنوال قلة ضئيلة ، لكن الشيء الواضح هو تفكك هذه الأصول ، ذلك التفكك الذي قد يقوض الروابط القوية ، ويحطم اتساق الحياة وهذا يوضح لنا التأثير السيء لتيارين من الثقافة ليست ثمت وشيجة من الصلة توحد بينهما ، مما أدى إلى انجراف الشخصيات الضعيفة في هذين التيارين اللذين تقاسماها ، وسارت في طريق يؤدي بها في النهاية لأن تكون شيئاً جديداً وغريبا ، فتزعزعت الروابط القديمة ، واجتثت من الحضارة التي كانت تنتمي إليها في الأصل ، وفقدت ثقتها في القديم ، ولم تجد عوضا عنها في الجديد فكانت عاقبة ذلك خواء لا خير فيه ولا جدوى منه ، أما مصر فتقف في ملتقى الحياة الشرقية والغربية ، ووصلت إلى مرحلة يستحيل عليها فيها — لو أرادت — أن تقلب أوضاع التاريخ

وتفصل التيارين بعضهما عن بعض ، وكل ما يبتغى هو ألا يتصارع التياران سواء فى الذهن الإنسانى أو فى دنيا الواقع ، وعسى أن يشقا طريقيهما متآخيين بما يعود على كليهما باليمن ، فإذا اتحدا أصاب حياة أعظم رخاء وأكثر عمقاً وأوفر طمأنينة ، لكن ليس معنى هذا أن يبتلع أحدهما الآخر أو أن يفقد كلاهما خواصه الذاتية ، بل الواجب أن تكون هناك تعديلات طفيفة إذا شئنا أن تظل الحياة كما هى ، أما تطرف كليهما إلى الحد الذى رأيناه فشر لا فائدة فيه ، كما أن إثارة العداء الشديد بينهما ستؤدى حتما إلى انهيارهما معاً ، وتكون التطورات التى تنجم عن ذلك أبعد مدى مما نتصور ، أعنى أنها تكون ثورية إن لم تكن هدامة ، هذا بينما يؤدى اتباع سياسة التغير المعتدلة — التى تتناسب ومجريات العالم الحديث — إلى اقتباس كل ما فى الماضى من خير ، وتتسم دنيانا اليوم بأنها دنيا تطور سريع جداً ، وإن لم يتبادل هذا التطور الأمور الأساسية بل يتلخص فى أنه نظرة سطحية ترى أن جميع التغيرات تسير فى سلم التقدم ، مع أن « التوقف عن التغير هو التوقف عن الحياة نفسها » كما قال فرويد ، وسواء أكنا نؤيد هذا الرأى أم ننكره إلا أن الواقع أن الحياة تجرفنا جميعاً إلى غد وليد جديد ، كما أن سير الحوادث يرغم الناس على أن يفكروا بأساليب جديدة كما هو الحال الآن حينما تجد أصغر القرى نفسها مرغمة على التفكير فى أمور المجتمع الإنسانى بأكمله ، وفى مثل أزمنة التغيرات القوية هذه يكون من الضرورى لنا ألا نشعر بأن شيئاً من القيم الحقيقية قد امحى ، وأن ندرك أننا نجنى خيرات التقدم ونستغلها فى حياتنا اليومية ، وعلى الرغم مما يبدو على هذا القول من الغموض ، إلا أنه ينبغى أن يكون الحجر الأساسى الذى ترتكز عليه الحركة التربوية .

إن ما أحدثته الأفكار الغربية من انقلاب فى علوم الطب والصحة والنفس وما شاكلها لينبغى أن يستغل لخير الحياة فى هذا القطر ويجب إدخاله فى تربيتنا ، وأن نمزج بينه وبين الحياة والثقافة المصريتين ، ولا سبيل لهذا التطعيم عن غير طريق المدارس والمعاهد فهى طريقه الطبيعى الكامل ، وكذلك بواسطة مجهودات الأشخاص ونشاط الصحافة والإذاعة ، ففى مكنة هذه كلها إحداث شىء من التغير لاسيما فى الأمور الظاهرية ، وليس معنى ذلك أنه يجب أن تصبح مصر أمة غربية ، فتصبغ فنها ودينها وأدبها وموسيقاها وكل شىء فى حياتها بهذه الصبغة ، وإلا كان ذلك طعناً للأمة فى صميمها ، وحتم علينا أن نشير إلى لو أنه قد تهيأ وجود أداة تراقب تأثير الغرب على الشرق وتنظمه فى حينه لأدى ذلك إلى التفاهم وإلى استبقاء كل ماهو جليل الخطر فى الشرق ، وأشعر أن هناك بعض نواح خاصة فى الأسلوب الغربى لم يكن ثمت رغبة فيها أو حاجة إليها ، ثم أزيلت — هذه النواحى الخاصة — بخير الطرق ، وهذا وحده يبين لنا الحاجة القصوى إلى شىء من الرقابة ، كما أنه لو اتبعت الحكمة فى إدخال بعض النواحى الأخرى من المعرفة الحديثة لكان لذلك أعظم قيمة ، فجل الهندسة الحديثة غربى الأصل على الرغم من أننا لو رجعنا إلى الوراء لو جدناها تدين كثيراً إلى الحساب العربى ؛ كما أن مستشفياتنا ومدارسنا الطبية ليست سوى تعبير صريح للعلوم الطبية الغربية التى تدين بعض الشىء إلى الفكر الشرقى القديم ، أما نسبة الوفيات بين الأطفال (وهى نسبة مرتفعة جداً فى مصر) فقليلة جداً فى البلدان التى أخذت بدراسة الحضانة دراسة علمية وعنيت بها ، وليس ثمت حاجة للبرهنة على أن قرانا ومدننا فى مسيس الحاجة إلى أمثال تلك المؤسسات العلمية ، كما نجد أن روح البحث والتنقيب العلمى القائمة على قواعد غربية لمستعملة فى محيط الفن بقصد كشف كنوز مصر القديمة ، وحفظها من العبث ، هذا فى الوقت الذى أدى فيه الباحثون الغربيون كثيراً من الخدمات فى سبيل تفسير المخطوطات المتعلقة بالمسائل والدراسات الإسلامية ، وفى جمعهم مواضيع الفن العربى وترتيبها ، كذلك كان للغرب أثر غير منكور فى ميدان الرياضة ، ويكفى أن يشاهد المرء ثلة من الأولاد المصريين وهم يلعبون كرة القدم أو كرة السلة ليشعر تماماً مقدار النقص العظيم فى كل نظام تربوى يهمل أمثال هذه النواحى من النشاط ، كما أن ممارسة الطفل لهذه الألعاب لم تخرجه عن مصريته ، كما أنه لا يمكن أن نطعن فى مقدرة مدرس لأنه تربى فى انجلترا أو فرنسا ، وكل هذه الأمثلة تشير إلى ذلك الاتجاه الجديد ، وتوضح ضرورة تشجيع هذين النوعين من الثقافة ، ولا يقصد من وراء ذلك أن يحل أحدهما محل الآخر ، بل المقصود أن يتعاونا معاً فى سبيل انتظام الحياة والانتعاش والتقدم الطبيعى ، وذلك خير لكليهما

حسن حبشى

وردة اليازجى

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

— ٣ —

وقالت فى رثاء ولدها أمين :

بأى فؤاد أبتغى بعدك السلوى … وأنت فؤادى فى التراب له مأوى

وهى تقول :

ألح علىّ الحزن من كل جانب … فشن على صبر الحشا غارة شعوا
فلو أن ما بى بالجبال لأوشكت … تميد لما تلقاه من مضض البلوى
أرى نار قلبى كل يوم وليلة … تزيد لهيباً كلما زدت فى الشكوى

لفقد أمينى بل حبيبى ومهجتى
وريحان زوجى من غدوت له نشوى
لقد كان فى عينى أبهى من الدجى
وأعذب فى قلبى من المنّ والسلوى
كسدر القنا كالنصل كالغصن فى النقا
كزهر الربى كالبدر كالرشأ الاحوى

أيا قبره هـذا العزيز فلا تدع … هوام البلى تهوى عليه كما تهوى
وحافظ على تلك العظام فإنها … لكنز ثمين ليت قلبى لها مثوى

ورثت ابنتها أسماء بقولها:

يا قرة العين ما لى عنك مصطبر … كيف السلو ونار القلب تستعر

وكيف أسلو وعنى اليوم قد رحلت
أسما وأبقت دموع العين تنهمر
فياعيونى جودى بالدموع عسى
تخفى بعض ما فى القلب يستتر

وساعدى مهجة المحزون علّك أن … تطفى لهيب فؤاد كاد ينفطر
ياجرة الحزن هلا تترك كبدى … يوماً بغير قروح فيه تنفجر
أسما شريكة قلبى آه وا أسفا … هلا يعود زمان قد مضى نضر
ربيت تسعة أعوام معى وأنى … من ليس يمنعه كبر ولا صغر
ما كان أقصر ذاك العمر وا أسفى … كزهرة فى انبثاق الصبح تنتثر
يا لهف نفسى لأيام مضت عجلا … كالحلم ولى فلا عين ولا أثر
أوّاه من طول ليل بت أسهره … كأنما ما له صبح ولا سحر

قد كنت أشفق من دمعى على بصرى
واليوم هان علىّ الدمع والبصر

وقالت ترثى أخاها عبد الله :

أعيناى جودى بالدموع السواكب
وفيضى دماء بعد فقد الحبائب

ومنها :

طوى الدهر ما بينى وبين أحبتى … وجمّع ما بينى وبين المصائب
تتابعت الأرزاء من كل جانب … علىّ كما ينهل غيث السحائب

ثم تقول :

ويا كوكباً قد غاب عنى فى الثرى
وما هكذا عهدى غياب الكواكب

وتختم الرثاء قائلة :

سأبكيك دهرى ما حييت وإن أمت
ستبكى عظامى تحت طى الترائب

وقالت راثية إحدى السيدات عن لسان شقيقة لها :

قفا بى كى أودعها قليلا … قبيل البين إذ أمسى طويلا
رويداً حيث أطلب أن أراها … فلا ألقى لرؤيتها سبيلا
وهيهات الوداع وقد أتاها … رسول البين يخطفها عجولا

ثم تقول :

إذا ناحت وأعولت البواكى … أكون أحق من أبدى العويلا
وإن تك فارقت فى مصر نيلا … فنى العليا أجتلت نيلا ونيلا
هناك تمتعت بنعيم عيش … به تنسى المنازل والنزيلا
وأبقتنا بأحزان لديها … نعد الصبر أمراً مستحيلا

وقالت ترثى قرينها :

أترى ما اكتفت صروف العوادى
بسهام أصمت صميم فؤادى

كلما كاد يضمد الجرح ترميـ … ـنى بسهم نفتت الأكباد
وأبى الدهر أن يمن بنظم … غير نظم الرثاء والتعداد
سلبتنى المنون إنسان عينى … ورفيقى وعمدتى وعمادى
يا أليفى فى شدتى ورخائى … ونصيرى فى النائبات الشداد

إلى أن تقول :

قد بكت فقدك المنابر حزنا   وتردت عليك ثوب الحداد
وبكتك العلوم من كل فن   كنت فيه من أوحد الأفراد
شتت الدهر شملنا وافترقنا   وكذا الدهر مولع بالعناد
فسأبكيك ما حييت إلى أن   نلتقى فى جوار رب العباد

وتختم الرثاء برثاء شقيقها إبراهيم العالم اللغوى المشهور :

لم يبق للحزن صبر ولا جلد   ولادموع تفى لى حق من فقدوا
وضاق صدرى مما قد ترا كم من   حزنى ولم يبق لى للاحتمال يد
بينا يضمد لى جرح لفقد أخ   يجدد البين جرحاً ليس ينضمد
أخنى الزمان علينا مثل عادته   واغتال من هو ركن البيت والسند
مضى الشقيق فشق القلب مصرعه   وخلف النار فى الأحشاء تتقد

ثم تقول :

يا قائل القول ما زلت به كلم   وصاحب الرأى حقاً ليس ينتقد
منشى الفصول التى ماخطها قلم   رب البيان الذى لم يحوه أحد

ومنها :

وكوكب الشرق ما تخبو له لمع   وإن خبت فالضيا(١) فى إثرها مدد
بما نشرت لسان العرب معتصم   ومانظمت لسان العرب معتضد
فضل سيبقى بقاء الدهر متصلا   عليك لا ينقضى أو ينقضى الأبد

ثم تختم الرثاء بهذه الأبيات :

ياصخر بنت الشريد اليوم منتشر   لها عليكُ قواف فى الورى شرد
هيهات ما فقدت صخرى ولا نظمت   دمعى ولا وجدت خنساء ما أجد
بكت وحيداً وأبكى ستة ذهبوا   لكل محمدة بين الورى ولدوا
يا رحمة الله حلى فى مضاجعهم   ويا غمائم جودى حيثما رقدوا

وقد رثته ثانية حيث أنشدت على ضريح العائلة فى بيروت أى بعد نقل رفاته من مصر :

ياقبر اهنأ بما أوتيت من ظفر   فقد حويت كرام البدو والحضر
حويت من هزَّ ركن العلم مصرعهم   من بعد ما ألبسوه أنخر الحبر
حويت كنزاً ثميناً لو عرفت له   قدراً لفاخرت فيه أثمن الدرر

ثم تقول :

يا قبر قد عاد إبراهيم وا أسفى   يضوى إلى أسرة من أنفس الأسر
فأى عين لهذا الخطب ما نزفت   دماً وأى فؤاد غير منفطر
ويلاه من نكد الأيام كم فتكت   بنا ولم تبق لى صبرا ولم تذر
ياقبر أكرم نزيلا حل فيك ولا   تمتن البلى من جسمه النضر

وتختم بقولها :

يامن مضى وجميل الصبر يتبعه   هل من سبيل إلى لقياك منتظر
قد كنت منى مكان الروح من جسدى الـ   ـمضنى وكنت مكان النور من بصرى

ومن صور الرثاء أيضاً ما قالته فى الذكرى :

جز يا نسيم على وادى النقا سحرا   وسل عن الصحب هل تلق لهم خبرا ؟
واشرح لهم سوء حالى بعد فرقتهم   لعلهم يعطفوا أو يلفتوا النظرا
كنا وكانوا وكان الأنس يجمعنا   فصير الدهر ذاك الجمع منتثرا
من لى برؤيتهم يوماً ويسعفنى   حظى وتبلغ عينى منهم الوطرا
مضى زمان الصفا ما كان أقصره   وعوض الدهر عن ذاك الصفا كدرا
أحبابنا ما أمر العيش بعدكم   وهل يطيب لقلب بات منفطرا ؟

هذه مقتطفات من طويل الرثاء فى إخوتها وأهلها الذين فقدوا فى حياتها بكتهم بعيون تسيل دماً لا دمعاً . ولم يقتصر الرثاء فقط على من ذكرنا وإنما رثت جماعة كبيرة عن لسانها ولسان صديقاتها الكثيرات كما أوردنا البعض منها هنا بإيجاز . ومن الشعراء طائفة ممن قرظوا ديوانها « حديقة الورد » فقالوا فى ذلك أبياتاً نورد منها قسما هنا . منهم قول الشيخ الحوى أحد أدباء يافا مادحاً ديوانها :

الجهل شاع بهذا المصر وا أسفى   وقد رأيت بيومى أعجب العجب
بديع نظم سما من وردة عبقت   فاحت روائحها فى العلم والأدب
فلله در لآلى درة نظمت   كريمة اليازجى حسانة العرب

(١) إشارة إلى مجلة الضياء التى كان يصدرها المرحوم إبراهيم اليازجى آنذاك .

وقال الحاج حسين افندى بيهم :

حديقة الورد قد طابت لجانيها ... ورق بالطبع قاصيها ودانيها
فاقطف ثمار المعانى من لطائفها ... وارشف شهى الحيا من قنانيها
ياحسن ذكرة من أبدت لنا درراً ... ونظمت خير عقد من دراريها
فإنها فرع ناصيف الذى اشتهرت ... لطفاً مقاماته وارتاح حاكيها
حكت أباها بآداب فما ظلمت ... جاءت على أصلها الباهى قوافيها
دامت تطرز أثواب القريض لنا ... ما قام يطرب بالأشعار راويها

ثم قال اسكندر أغا أبكاريوس :

أهدت لنا نفحات الورد فى الكلم ... كريمة من بنات الجود والكرم
فريدة قد سمت فى الناس واشتهرت ... ألطافها بين عرب الأرض والعجم
أكرم بها درة قد طاب عنصرها ... بالفضل أشهر من نار على علم
فاقت على سائر الأمثال قاطبة ... للنظم والنثر والآداب والشيم
صاغت لنا من نفيس الشعر أحسنه ... نظماً وأجوده فى المدح والحكم
أبدت لنا السحر فى نظم البيان وقد ... زهت وباهت نساء العصر بالهمم
لا زال طالعها بالسعد مقترنا ... ما ضاء بدر الدجى فى حندس الظلم

وقال خليل افندى الخورى :

لا يفخر الغرب بالغادات لابسة ... تاج البلاغة تجلو راية الأدب
فان فى الشرق روض رائق نضر ... تهدى شذا الشعر فيه وردة العرب
كريمة لكريم اليازجى بدت ... تجلو الفخار بمجد العلم والأدب

وقال المعلم أسعد الشدودى :

ألا يا وردة العرب التى قد ... زها نظم لها كعقود در
لقد أنشأت ديواناً بديعاً ... به أنسيتنا خنساء صخر
معانيه الدقيقة ذات ظرف ... لها رقصت معانى كل شعر
فلا عجب إذا فاقت سواها ... فنشر الورد أطيب كل نشر

ثم قال يوسف افندى السيوفى :

نزه لحاظك فى جمال حديقة ... أبداً يفوح الطيب من أزهارها
لا بدع أن فاقت بحسن بهائها ... وتقاصر الأقران عن أقدارها
فالورد من أغراسها والطيب من ... أنفاسها واللطف من أسرارها

ثم قال سليم افندى الخورى :

فى روضة الورد قامت وردة العرب ... تبدى لنا نفحات العلم والأدب
كريمة الفرد ناصيف التى أخذت ... عنه النظام فكانت بنت خير أب
أبدت من رقيق الشعر أعذبه ... يحلو ويغلو كما يخلو من الريب

وقال المعلم إبراهيم سركيس :

فريدة العصر قد صاغت لنا درراً ... تدوم ريانة حيناً إلى حين
أحلى الحدائق ما كانت مكللة ... بالورد والورد سلطان الرياحين

ومما قاله أخوها الشيخ إبراهيم اليازجى :

هذه حديقة ورد عز جانيها ... وحبذا روض ورد يفرج الكربا
من طافها ير فيها الدر منتظما ... والطيب منتشراً والسكر مختلبا

هذه صورة مصورة من حياة الشاعرة الكبيرة وردة اليازجى اقتطفتها من ديوانها « حديقة الورد » آملا بعملى هذا تقديم باقة من زهر هذه الحديقة الغناء يشمها القارىء فيتعطر بشذاها ويتمتع بأريجها خدمة للأدب والتاريخ .

(بغداد) **يوسف يعقوب مسكونى**

مظـــاهر العبقرية في الحضارة الاســـلامية

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٢ —

عند ما فتح العرب جنوب أوربا واستولوا على جزرها المشهورة وعلى ربوع الأندلس، انتشرت لغتهم في جميع هذه الأقطار، وخاصة في شبه جزيرة أسبانيا ومنورقة، وميورقة وجزائر الباليار وصقلية، وإقريطش وما إليها.

وبلغ من شأن العربية في أسبانيا أن اضطر آباء الكنيسة إلى نقل صلواتهم وأدعيتهم إليها ليحسن فهمها المصلون الذين كانوا قد زهدوا في اللغة اللاتينية ومالوا عنها إلى اللغة العامة وهي العربية، يتدارسون بيانها وقواعدها، ويحفظون أشعارها وطرائفها، وظلت العربية هي اللغة الرسمية في تلك الربوع حتى جلاء العرب عنها عام ١٠١٦ هـ. وقد وجد المنقبون نحو ألفي صك كتبها سكان تلك البلاد الأصليين باللغة العربية [١] وفي مكتبة الأسكوريال في أسبانيا حتى يومنا هذا معاجم يونانية عربية، ولاتينية عربية وعربية أسبانية تدل أوضح دلالة على ذلك العصر العربي الزاهر.

وفي اللغة الأسبانية الحاضرة كلمات عديدة تبدأ بأل التعريف العربية، وفي ذلك أبلغ شهادة على تأثر اللغة الأسبانية باللغة العربية. إذ أمدتها بآلاف المفردات التي لا غنى لها عنها في التعبير، ولم يقف نفوذ اللغة العربية عند هذا الحد بل تعداه إلى بقية اللغات السكسونية والجرمانية الحية، ولهذا فإننا نجد حتى اليوم ألفاظاً عربية بليغة في كل من اللغات [٢] الانجليزية والغالية القديمة والألمانية، والهولندية والإسكندنافية، والروسية والبولندية، واللغات الصقلية الأخرى.

(١) غرائب الغرب ج ٢ ص ١٣٤ — لمحمد كرد على
(٢) مجلة المعرفة — بحث لعلي مظهر، والاسلام والحضارة العربية ج ١ لكرد علي.

ومما تدل عليه الإحصاءات الدقيقة [١] أن ثلاثة آلاف كلمة عربية قد دخلت اللغة البرتغالية، وأن ربع الأسبانية الحديثة مأخوذ من العربية، وأن تسمائة كلمة من اللغة العربية أيضاً قد أدخلها الفرنسيون في لغتهم [٢] وتضم الانكليزية كذلك مثل هذا العدد من الألفاظ العربية.

ومن الغريب حقاً أن نجد أمماً غير عربية ما زالت حتى عصرنا الحاضر أممـاً تتكلم اللغـة العربية وتكتبها في جميع معاملاتها، أو أنها تكتب لغتها بالحرف العربي [٣]، وما زالت العربية حتى يومنا هـذا شائعة ومحكية في معظم أطراف السينغال، والسودان الفرنسي، والنيجر، وليبريا، والحبشة، وجيبوتي، وقازان، والقريم، وكرجستان، وطاغستان، وتركستان وسيام، والفيليبين، والهند، وإيران، والصين، وجاوه، وبلاد المغرب، ومالطه، وكردوفان.

نقف عند هذا الحد قليلا لنسأل سرفيه وأمثاله، أكان في استطاعة العرب أن يفرضوا لغتهم على جميع الشعوب التي حكموها، لو لم يكونوا أمة موهوبة جميل المزايا وروائع العبقريات؟ أم كان هؤلاء الأقوام يقبلون على تعلم العربية بمثل ما رأيت من الشوق والرغبة، لو لم تكن العربية لغة حضارة سامية ومدنية زاهرة؟... وإننا لنجد أمماً كثيرة، بربرية وهمجية، قد فرضت سلطانها على العالم قروناً طويلة، ولما لم تكن ذات حضارة عالية بادت وتلاشى سلطانها دون أن تترك وراءها أثراً يذكر.

ولم نذهب بعيداً في الاستدلال، وهذه الأمة العربية ذاتها قد تعاقبت عليها مختلف الحضارات، وخضعت لشتى السلطات إلا أنها مع ضعفها السياسي قد حافظت على مزاياها وتقاليدها ولغتها وحضارتها، ولئن استطاعت هذه الدول أن تفرض عليها سلطانها ونظمها السياسية، إلا أنها عجزت عجزاً تاماً عن تجردها من ثقافتها، لتفرض عليها ثقافتها الخاصة

(١) انجلمان: قاموس الألفاظ الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية
(٢) لامنس — ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية وكتاب Intraoluctionto the Study of English Literature
(٣) تقويم العالم الاسلامي بالفرنسية — ا. ستيون.

العرب في ميدان العلم وطور الاستعداد :

وقبل أن نبين مواطن الابتكار والعبقرية في ثروة الإسلام العلمية يحسن بنا أن نرجع ولو قليلا إلى الوراء لنبحث العوامل الرئيسية التي عملت في تكوين الحضارة الإسلامية ، ولنرى بعد ذلك المراحل الأولية التي تخطتها هذه الحضارة العريقة في سيرها وتقدمها ، قبل أن تصبح حضارة العالم بأجمعه بلا منازع

فليس من شك في أن العرب وإن كانوا أرباب ملاحظة في سائر العلوم ، وأمة موهوبة أعلى درجات النبوغ والذكاء ، إلا أنهم شادوا حضارتهم — شأن بقية الأمم المتمدنة — على أنقاض حضارات سابقة قديمة ، وليس من شك أيضاً في أن الحضارة العربية لم تبلغ حد كمالها فجأة ، إذ أن ذلك أمر بعيد التصديق ، ولكنها بلغته تدريجياً ولكن بخطى سريعة متزنة لم يعرف لها التاريخ مثيلا

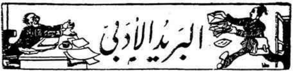
لقد كانت أوربا في العصر الذي بدت تظهر فيه طلائع النهضة العربية تغط في سبات الجهالة ، وتتمرغ في هاوية الانحلال ، وكانت المسيحية إذ ذاك قد بدأت بمطاردة الحرية الفكرية في أقطارها ، وأخذت تنشط في إحراق العلوم الوثنية وتعقب العلماء والفلاسفة . واستئصال شأفتهم من كل بقعة . يخشى أن يكون لهم فيها صوت مسموع ، أو علم مرفوع ، حاسبة أنها بذلك تبيد من حقلها الأعشاب الغريبة التي قد تحول في المستقبل دون نماء عقيدتها ، وإذ كان النور يشع إذ ذاك من ناحية الجزيرة العربية فقد أخذت هذه الفئات الممتازة الراقية تؤمها آحاداً وأرسالا حاملة إليها نتاج عبقريات الأمم اليونانية والرومانية الدارسة ، وكانت هذه الجماعات حيثما نزلت تعيش في جو من التسامح الفكري لم تعهد له فيما مضى مثيلا .

أما في بلاد الشرق فقد أدت الحرب العوان التي دارت قبل الإسلام رحاها بين مملكتي الروم وفارس إلى ضعف كلتا المملكتين فقد غزا هرقل مملكة الفرس ، فتركها أطلالا خاوية ، ثم غزا الفرس مصر والشام فثاروا البلاد هم من مملكة قيصر ، وقابلوا الضربة بضربة مثلها وأخذت المناوشات تترى بين المملكتين مدة طويلة ، وكان من نتيجتها أن ضعف قيصر وذل كسرى ؛ أما قيصر ، فقد استنفدت هذه الحرب الضروس جميع اقتصاديات بلاده حتى لقد عجز عن أن يحفظ حدود مملكته ، وعن دفع الأتاوة لقبائل العربية التي كانت تقوم بحراسة أطراف هذه الإمبراطورية الواسعة ، وزاد في الطين بلة احتدام الجدل بين الملكيتين واليعاقبة والنساطرة حول طبيعتي المسيح [1] الالهية والإنسانية ؛ وتدخل الإمبراطور إذ ذاك في هذه المجادلات ، الأمر الذي أدى إلى اضطهاد اليعاقبة والنساطرة ، وإلى اتساع شقة الخلاف . وكان هرقل إذ ذاك قد طعن في السن ، وأوهت قواه الشيخوخة ، فسقط لذلك ألعوبة بأيدي رهبان إيليا الذين ما زالوا به حتى أوغروا صدره على يهود بيت المقدس ، بدعوى أنهم ساعدوا الفرس حين زحفهم على امبراطوريته ، وضربهم إياها تلك الضربة القاضية ، التي صدعت فيها بنيان النظام والطمأنينة والأمن ، فقتل منهم لذلك خلقاً كثيراً ، وجلداً وافراً ، وعدداً لا يعد ؛ وهكذا فقد كان كل من النساطرة واليهود عوناً لكل خارج على قيصر أو طامع في ملكه وإذا استهواها قبس الحرية الذي كان يشع من ناحية الجزيرة فقد ساروا إليها يحملون معهم في سيرهم ما انتهى إليهم من نتاج المدنيات السابقة ، وما جادت به قرائحهم المتوقدة ؛ فتفسح النسطوريون في أرض الحجاز ، وقطن اليهود بلاد اليمن ؛ وكان أمراً طبيعياً أن تنتشر تعاليمها في سائر أقطار الجزيرة ، وأن تتأثر هذه بها .

ولم تكن الحالة في بلاد فارس بأحسن منها في بلاد الروم ، فقد كان الملك فيها — قبيل الإسلام — في قبضة طفل صغير لا يجاوز الخامسة عشرة من سنه ، ثم في قبضة امرأة مستضعفة ، وهي بوران بنت كسرى ؛ ولما بلغ النبي أمرها قال « لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة » وهكذا فقد كان عرش فارس ألعوبة بأيدي أطفال صغار ، ونساء جاهلات ؛ ولم تكن حالة الزرادشتيين في فارس بالتي تدعهم يخلدون إلى السكينة والاطمئنان ولذلك فقد أصبحت الجزيرة — قبيل الإسلام — مثابة صالحة للمضطهدين والمغلوبين على أمرهم من أحرار فارس والروم .

(يتبع) **خليل جمعة الطوال**

(١) تاريخ سعيد بن بطريق



إلى علماء العربية وأعلامها :

كنت أحقق منذ عهد بعيد شعر أبي نواس ، وأبحث عنه في مظانه المخطوطة والمطبوعة ، فدفعني ذلك إلى دراسة الأديرة والحانات وما يدور فيها ، وأماكن اللهـو والتنزه ، ومواضع القصف والنزف وما يتعلق بذلك ، ودراسة الشعراء المجان وتاريخ الخمرة في الأدب العربي ، وحياة الجواري والقيان وأترهن ، إلى غير ذلك مما يتصل بموضوعي . فعثرت على شاعر ماجن خليع داعر أسماه أصحاب التصانيف والتآليف « أبا شاس » ، ووصفوه بأنه صاحب دعابة ومجون ، وفسق وتهتك ، وتطرح بالحانات ، وملازمة للديارات .

ذكر هذا الشاعر ابن فضل الله العمري في كتابه « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » عند الكلام على دير يونس (١) في موضعين ، وذكر له شعراً في صفة هذا الدير ، وشعراً في صفة الخمرة ، ولم يعلق العلامة أحمد زكي باشا على ذلك بشيء ، بينما علق على أبسط الأمور ، وشرح مختلف الألفاظ .

ثم رأيت الأستاذ حبيب زيات يذكره في كتابه الموسوم « بالديارات النصرانية في الإسلام »(٢) ويضع له اسماً في فهرس الشعراء الذين استشهد بشعرهم في كتابه ويسميه «أبو شاس منير»

ولما كان جميع من كتب في الديارات والحانات والأعمار وما شابه ذلك اعتمد على كتاب « الديارات » لأبي الحسن علي بن محمد الشابشتي(٣) رأيت أن أرجع إليه في تحقيق اسم هذا الشاعر ونسبه وحياته .

(١) مسالك الأبصار ص ٣٤٦ ، ٣٤٧

(١) الديارات النصرانية في الإسلام ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي المتوفى سنة ٣٨٨هـ ٩٩٨م كان أديباً فاضلا تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر فولاه أمر خزانة كتبه وجعله « دفتر خوان » — وظيفة فارسية معناها « قارىء الدفاتر » — يقرأ له كتبه ويجالسه وينادمه

وكلمة « شابشتي » فارسية مكونة من « شاه » بمعنى ملك و « بشت » بمعنى خلف أو قفا فيكون معناها : الذي يكون خلف الملك أي الحاجب ، ونرى أن يكون تلفظها « شابستي »

ولكن الشابشتي لم يذكر عن هذا الشاعر ما يبل الغلة ويفي بالحاجة ، بينما ترجم كل شاعر له علاقة بموضوعه ترجمة وافية مهما كان ذلك الشاعر مغموراً .

قال الشابشتي في الكلام على دير يونس بن متى (١) بعد ما ذكره وعرف به : « ولأبي شاس فيه :

يا دير يونس جادت صوبك الديم ... حتى ترى ناظراً(٢) بالنور تبتسم
لم يشف من ناجر حر على ظمأ ... كما شفى حر قلبي ماؤك الشبم
ولم يحلك محزون به سـقم ... ألا تحلل عـنه ذلك السقم
أستغفر الله من فتك بذي غنج ... جرى عليّ به في ربعك القلم

ثم يقول بعد هذا : « وكان أبو شاس هذا من أطبع الناس ، مليح الشعر ، كثير الوصف للخمر ، ملازماً للديارات ، متطرحاً بها ، مفتوناً برهبانها ومن فيها . » ثم يقول ومن مليح شعره :

لا تعدلن عن إبنة الكرم ... بابي ففيها صحـــة الجسم
واعلم بأنك أن لهجت بغيرها ... هطلت عليك سحائب الهم
وإذا شربت فكن مستيقظاً(٣) ... حتى يتبين طيبة الطعم
لو لم يكن في شربها راحة(٤) ... إلا التخلص من يد الهم

وهذه القصيدة موجودة في شعر أبي نواس وهي فيه ثمانية أبيات (٥) ، ورأيت العمري في مسالكه ينسبها لأبي شاس ويذكر الأول منها والرابع فقط .

ويستمر الشابستي في ذكر شعر أبي شاس هذا ويذكر له قصيدة مطلعها :

أعاذل ما على مثلي سـبيل ... وعذلك في المدامة مستحيل

وبعد هذا البيت ثمانية أبيات ، وهي موجودة أيضاً في شعر أبي نواس (٦) بنصها وبعدد أبياتها ، وينقلها العمري في المسالك ويذكر منها أربعة أبيات ، وينسبها لأبي شاس :

هذا هو أبو شاس الشاعر الظريف الماجن الذي مر ذكره في

(١) كذا في الشابشتي والعمري والصحيح « ناضراً » .

(٢) الشابشتي ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) في ديوان أبي نواس « فكن لها متمطقاً » .

(٤) في مسالك الأبصار « فرجة » .

(٥) ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية ، سنة ١٨٩٨ ص ٣٢٨

(٦) ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية ، سنة ١٨٩٨ ص ٣١٧

هذه المصادر الثلاثة ولم أعثر له على ذكر فى أى مصدر آخر .

أقول أن أبا شاس هذا هو أبو نواس نفسه إذ أن العمرى وحبيب زيات نقلا عن الشابشتى وأن الناسخ له صحف هذا الاسم « أبا نواس » فصيره أبا شاس ، وجاء العمرى ونقل عنه ، وأغفله العلامة أحمد زكى باشا فلم يصحح هذا التصحيف ، ثم جاء حبيب زيات ونقل عن العمرى أو عن الشابشتى ووضع له اسماً هو « منير » .

أضع هذا الرأى بين أيدى علماء العربية وأعلامها لعل لهم فيه رأياً .

(بغداد) شكرى محمود أحمد

بين المحمدية والموسوية :

من الشريعة الموسوية التى نسخها الشرع الإسلامى ، ولكن القوم بها عاملون : قول موسى عليه السلام : (كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من نهر الفرات إلى البحر الغربى يكون تخمكم)

وفى الشرع الإسلامى أن الأرض لأهلها ، يفرض فاتحوها عليها خراجاً ، وجزية على السكان لتموين المحاربين فى الجيش لقاء إقرار الأمن وإقامة العدل وحماية البلاد .

وفى الشريعة الموسوية : (حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك وفتحت لك أبوابها فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً) ومعنى التحريم هنا القتل العام . وفيها أيضاً : (تمحو اسمهم من تحت السماء لا يقف إنسان فى وجهك حتى تفنيهم تدريجاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية) .

وفى الشرع الإسلامى إذا حاصر المسلمون مدينة أو حصناً دعوا أهلها إلى الإسلام فإن أجابوا كفوا عن قتالهم ، وإن امتنعوا دعوهم إلى أداء الجزية فإن بذلوها فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، فإن أبوا لجأ المسلمون إلى القتال ، على أن لا يخونوا ولا يغلوا ولا يغدروا ولا يمثلوا ولا يقتلوا طفلا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا يقطعوا شجرة ولا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ولا يعرضوا للمتعبد فى صومعته و ...

وفى شريعة سيدنا موسى أن حفظ العهود ووجوب العمل بها محصور بما عقد منها بين بنى إسرائيل فقط ، ولا يجب على الإسرائيلى أن يحتفظ بعهده مع العدو المحارب أو غيره .

وفى الشرع الإسلامى يجب الوفاء بالعقود عامة لقوله تعالى (واوفوا بالعقود) .

وفى الشريعة الموسوية : (لا تقرض أخاك الإسرائيلى ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مما يقرض بربا . للأجنبى تقرض ربا ولكن لأخيك لا تقرض ربا) .

وكذلك سائر القواعد الاجتماعية فى المعاملات والعقوبات .

فالحكم فى الشريعة الموسوية يختلف باختلاف الأشخاص ، والعقوبة تخف على اليهودى وتشتد على الأجنبى مع وحدة الجرم ويسقط عندهم الدين بمرور الزمن بعد سبع سنين عن العبرانى وأما عن الأجنبى فلا يسقط أبداً ولا يمر عليه الزمان .

وفى الشرع الإسلامى أن لأهل الذمة ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وفى الحديث النبوى المحمدى (من آذى ذمياً كنت خصمه يوم القيامة) . إلى غير هذا مما هو مبسوط فى مظانه ومصادره .

فوزى محمد طراد

أثر العرب فى الحضارة الأوربية :

هذا عنوان الكتاب الأخير الذى أصدره فى هذا الصيف الأستاذ الكبير العقاد ، ومن حسن حظ العرب والأدب أن هذا الكتاب جاء فى وقته . ووقته الذى أعنيه هو هذه المعركة الحاسمة فى نضال عنيف بين العرب وأوربة استمر منذ أحرق

طارق سفنه فى الشاطىء الغربى من المضيق إلى اليوم . وكان هذا النضال الطويل أفظع صدام شهده التاريخ بين الحق والباطل والعلم والجهل والمدنية والبربرية ، تسلح فيه سماسرة الدين وعلوج المُلك بالضغينة والإفك والتمويه والتشويه ، فوقفوا بالعصبية أمام العرب فى الأندلس ، وبالصليبية أمام الإسلام فى فلسطين ، وبالآرية أمام السامية فى عهد هتلر ، ثم بالغرب كله أمام الشرق كله فى عصر تشرشل . ولقد ظل النصر لنا حليفاً فى مراحل هذا الصدام ، حتى انطمست فى نفوسنا معانى الإسلام والعروبة ، ففقدنا كل سلاح غير سلاح الحق . والحق وا أسفاه أعزل ، فلا بد له من سيف كسيف خالد ، وأبكم فلا بد له من قلم كقلم العقاد .

فالكتاب الذى يقرأه الناس لكاتب العبقريات اليوم ، إنما هو صولة من صولات الحق تفيد مصر وفلسطين وسائر بلاد الجامعة العربية فى تعليم من يجهل وإقناع من ينكر أن العرب الذين مدنوا الشرق وهدوه ، وعلموا الغرب وأمدوه ، لا يزالون بفضل عقيدتهم وعقليتهم وجنسيتهم مشعلا من مشاعل الحضارة ، وركناً من أركان السلام ، وأنهم أعطوا العالم أكثر مما أخذوا منه ، وأثروا فى الغرب أكثر مما تأثروا به ، وأن من الكرامة الإنسانية ألا يعاملوا بالقهر ، وألا يؤخذوا بالاستبداد ، وألا يُبنى الاتفاق معهم على الكره .

« موضوع هذا الكتاب الوجيز ينقسم إلى قسمين : أولهما أثر العرب فى الحضارة الأوربية من أقدم أزمانها ؛ والثانى أثر أوربة الحديثة فى النهضة العربية العصرية » فعالج الأستاذ المؤلف أثر العرب فى الأوربيين من جهة العقائد السماوية ، وآداب الحياة والسلوك ، والتدوين ، وصناعات السلم والحرب ، والطب والعلوم والجغرافيا والفلك والرياضة والأدب والفن والفلسفة والدين ، وأحوال الحضارة والدولة والنظام ؛ ثم أجمل أثر أوربة الحديثة فى النهضة العربية ، فأشار إلى ذلك فى الاجتماع والسياسة ، والحكومة البرلمانية ، والوطنية ، والحركات الدينية ، والأخلاق والعادات ، والأدب والفن ، والصحافة ، وكل هذه المسائل معروضة بالعرض الذى يعرفه الناس للعقاد من قوة المنطق وصفاء الأسلوب وسعة الاطلاع . وهو بعد ذلك مطبوع فى دار المعارف طبعاً أنيقاً على ورق صقيل فى غلاف جميل . (* * *)

فن إنشاد الشعر العربى :

كتاب يقع فى ٧٨ صفحة من القطع المتوسط مطبوع فى مطبعة الآباء الفرنسيسين فى القدس ، وضعه الأب أغسطس فيكى الفرنسيسى ، ونقله إلى العربية الأب اسطفان سالم ، والدكتور أسحق موسى الحسينى ، وقد صدر الكتاب بمقدمة نفيسة ، فى الشعر ، والإنشاد ، وفى أسباب ضعف الشعر فى عصرنا الحاضر وقد نبه المترجمان الفاضلان على أن الأب أغسطس فيكى لم يكن هو أول من راد مفازة هذا البحث ، وأن العالم استانسلاس جويار قد سبق المؤلف إلى البحث فى فن الإنشاد الشعرى . كما أن المستشرق الشهور تشارلس كيل ، كان قد سبق المؤلف إلى تبيان مواطن الضغط الصوتى فى كتابه « الشعر العربى القديم »

والكتاب على ما فيه من نظريات لم يألفها أدباء العربية الناشئون ، لا بد وأن يكون له شأن فى المستقبل ، ونحن واثقون بأن إعراض أبنائنا عن الشعر العربى خاصة والأدب العربى عامة مرده إلى أننا لم نعلمهم إياه على الوجه المرغب ، المشوق المطرب . وإلا لكان أساتذة الأدب العربى لا يعانون الأمرين وهم يتكرون الأساليب ، لإقناع طلابهم بضرورة الإقبال على أدب لغتهم القديم منظومة ومنثورة .

نحن لا ننكر أن الكتاب يصدم مطالعه العربى عند الوهلة الأولى لأنه يزيد رموزاً جديدة ، إلى زحافات وعلل الشعر العربى وهى رموز النطق ، والإنشاد ، ومط الصوت ، مما لا عهد لنا به ولكن كل ذلك يهون إذا علمنا أن كل فن لا بد له من ضوابط وقيود تعصمه من الفوضى .

قد يعترض البعض على هذا الكتاب بأنه يزيد فى القواعد ونحن نحاول التخفيف منها وجوابنا على هذا الاعتراض أن الكمال يحتاج إلى المجهود .

وقد يرى البعض أن الكتاب غايته التنغيم ، وليس هذا من طبيعة الأشياء ، ولا هو من طبيعة الشعر العربى .

والواقع أن هذا الرأى فى غير محله ، لأن التنغيم هو الأصل فى الشعر العربى وهو الأمر الطبيعى فيه ، لأن الشعر والغناء من أصل واحد عند الأمم كافة ، وقد وضع الشعر العربى فى أول أمره لينشد تكريماً للآلهة والملوك ، فكان لا بد من إظهار العاطفة فيه بالنغم ، فاليونان ، والرومان يقولون إلى الآن « غنى شعراً » ولا يقولون نظم شعراً[١] والذى نراه أن العرب لم يشذوا عن هذه القاعدة ؛ لأنهم ليسوا بدعة من بدع الحياة والطبيعة . ونرى فوق ذلك فان العرب ينظموا الشعر من أجل تكريم آلهة العشق فى أول أمرهم (العزى) بدليل أن كل قصيدة لا بدلهم من أن يبدأوها بالغزل[٢] . وكان شعراء العرب يغنون شعرهم كالأعشى قبل الإسلام[١] والشاعر الذى لم يكن صوته جميلا رخيما كان يقتنى غلاماً رخيم الصوت ينشد أشعاره[٢] ولو لم يكن الإنشاد أصلا فى الشعر لما خص كل نوع من المواطف ببحر ، فنرى أن البحر الطويل يوافق لنظم الشعر الحماسى والوافر للفخر ، والرحل للحزن أو للفرح ، والسريع لتمثيل العواطف[٣] .

إذاً فالكتاب المبحوث عنه محاولة نفيسة لا يسعنا إلا إكبارها ، وإكبار صاحبها ومترجمها . وسيكون مفتاحاً من مفاتيح الموسيقى العربية الشديدة التفلت من القيود .

روكس العزيزي
معلم العربية وآدابها في كلية تراسانة بالقدس

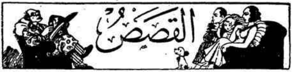
(١) أداب اللغة العربية لزيدان ج ١ صفحة ٥٦

(٢) هذا رأى خاص بنا ، ولنا فيه مقال مسهب عنوانه « أفرض العرب النسيب فى بدء قصائدهم لغاية دينية ؟ » .

(١) التمدن الاسلامى ج ١ ص ٥٦ .

(٢) التمدن الاسلامي ج ١ ص ٥٦ .

(٣) الالياذة العربية للبستانى ص ٩٠



مطـــاردة ...!

للقصصي الإنجليزي سومرست موم

بقلم الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وحلت الخمر التي شربناها فيما بعد عقدة لسانه، فأخبرني بعد لأي عن سبب مجيئه إلى هذه البلاد. وقبل أن يسرد على قصته الغريبة توقف عن الحديث برهة ليستعيد حوادثها وفصولها في ذهنه، فقد جاء — كما أخبرني — من سو مطرة، وقد أساء إلى أحد الصينيين إساءة بالغة فأقسم هذا أن يقتله شر قتلة، فلم يهتم الهولاندى بهذا القسم في مبدأ الأمر وظنه من قبيل التهديد ليس إلا، ولكن الصيني حاول أن يقتاله بعد ذلك مرتين ففشل فخشي الهولاندى على حياته واعتقد حينئذ أنه جاد في قسمه، ورأى من الصواب والحكمة أن يرحل عن هذه الجهات فترة من الوقت ثم يعود إليها بعد أن تسدل الستار على حادثة هذا الصيني اللعين، فسافر إلى باقاريا ليقضي فيها بضعة أيام يروح فيها عن نفسه ولكنه لاحظ الصيني بعد مضي أسبوع من سفره يتسلل خفية في مساء أحد الأيام بجانب حائط المنزل المجاور للفندق الذي حل به مما يدل على أنه كان يراقبه مراقبة شديدة. ويتحين الفرص الملائمة لقتله. وزاد خوف الهولاندى على حياته حينما تبين له أن هذا الصيني يتبعه أينما سار ويرقبه بنظراته التي كان يتطاير منها شرر الحقد والضغينة، فرحل في صباح اليوم التالي إلى سربيا. وبينما كان يتجول في أحد شوارعها الكبيرة المزدحمة بالمارة بعد ظهر أحد الأيام، التفت وراءه فجأة فرأى الصيني يمشي وراءه بخفة وحذر، وكان على قيد خطوات منه، فلما التقت عيناهما تسلل الصيني كالأفعى واختفى بسرعة بين الجماهير التي كانت تملأ الشارع وذعر الهولاندى لهذه المباغتة وتأكد تماماً أن حياته قد أصبحت مهددة بالخطر، وعاد من فوره إلى الفندق الذي كان مقيما به وحزم أمتعته على عجل وأخذ أقرب سفينة إلى سنغافورة ثم نزل في فندق بمدينة فانوبك. وبينما كان يتناول طعام الإفطار في بهو الفندق في صباح اليوم التالي لوصوله إلى تلك المدينة لمح الرجل الصيني يرمقه بنظراته النارية الملتهبة من خلال زجاج أحد نوافذ الفندق، وقد التقت أبصارهما للمرة الثانية، فأسرع الصيني بالانزواء خلف أحد الأبواب. وقد أخبرني الهولاندى أنه كاد يصعق في مكانه عند رؤية هذا الصيني للمرة الثالثة. وكان على ثقة وطيدة من أنه ينتظر الوقت المناسب، ويترقب الفرصة الملائمة لاغتياله. وقد قرأ ذلك في نظرات عينيه التي كانت تدل على منتهى الغدر والخيانة، وينبعث منهما بريق الضغينة والحقد الكامنين في أعماق نفسه.

وهنا توقف مضيفي عن الحديث، فانتهزت هذه الفرصة السانحة وسألته قائلا:

ولم لم يذهب هذا الهولاندى إلى أحد مراكز الشرطة يحيط رجاله علماً بأمر هذا الصيني الأثيم، فيقبضوا عليه، وينقذوه من شره وعدوانه؟

فأجابني محدثي على الفور:

لست أدرى سبباً لذلك إلا أن يكون قد ظن أن هذا الأمر من التفاهة بحيث لا يجدر برجال الشرطة أن يتدخلوا فيه، وربما يكون هنالك سر خفي لا يجب إذاعته بين الناس!

وهنا خطر لي سؤال آخر فقلت:

— وما هي تلك الجريرة التي ارتكبها هذا الهولاندى حتى جعلت ذلك الصيني يصمم على قتله مهما كلفه ذلك، واضطرته إلى تعقبه ومطاردته في كل مكان يذهب إليه!

فهز رفيقي رأسه متأسفاً وقال:

— إنني لا أدرى ذلك أيضاً لأنه لم يشأ أن يخبرني به، وعند ما ألقيت عليه هذا السؤال بدوري، امتقع وجهه ونظر إلى من طرف عينه نظرة غريبة شزراء والتزم الصمت! وقد تبينت من ملامح وجهه الشاحب وجبينه المقطب الكثير التجاعيد أن إساءته لهذا الصيني كانت تستحق القتل، وهنا قدم لي مضيفي

علبة سجايره الفاخرة فتناولت منها واحدة وتناول هو أخرى وأشعل كل منا سيجارته فى وقت واحد . وظل رفيق يدخن برهة وينظر إلى سحب الدخان التى كانت تتلاشى فى فضاء الحجرة دون أن يفوه بكلمة واحدة وأخيراً تضايقت من سكوته فقلت :

— وماذا تم فى أمر الهولندى بعد ذلك ؟

فاستجمع رفيق شتات أفكاره واستطرد قائلا :

— كان ربان السفينة التى تسافر بين سنغافورة وكوتشنج ينزل فى نفس الفندق الذى نزل فيه الهولاندى بمدينة فانويك فى فترات الراحة بين كل رحلة وأخرى . فانتهز الهولاندى هذه الفرصة الطيبة وترك أمتعته فى الفندق ليضلل الصينى وذهب إلى ربان السفينة واتفق معه على أن يمكث فى سفينته إلى أن يحين موعد سفرها فقبل الربان ذلك عن طيب خاطر بعد أن نفحه الهولاندى مبلغاً كبيراً من المال . وهنالك هدأت أعصابه ، واطمأن خاطره بعض الشىء ، وظن أنه أصبح بمنجاة من خطر هذا الصينى الذى لم يكن يهتم بشىء قدر اهتمامه بالهرب منه ، والفرار من وجهه ، والذى أقلق باله ، وأقض مضجعه ، وجعل حياته سلسلة من الألم المتواصل ، والعذاب المستمر ! وقد شعر بالاطمئنان عند ما وصل إلى كوتشنج ، فنزل فى فندق منعزل هناك . ولكنه أخبرنى أنه لم يكن يستطيع النوم بأى حال لأن وجه هذا الصينى كان يتمثل له فى أحلامه على الدوام ، وكثيراً ما كان يراه فى خلال نومه وقد أمسك فى يده خنجراً حاداً يلمع نصله المميت فى الفضاء ، ويهوى به بشدة وعنف على عنقه ، فيقوم من نومه فزعاً مذعوراً ، وينتفض جسمه النحيل من شدة الرعب والهلع . وقد شعرت فى الحقيقة بحزن عميق ، وتأثر كبير نحو هذا الهولاندى التعس وهو يروى لى قصته بصوت أجش مبحوح ، ولهجة مترددة متقطعة النبرات من تأثير هذا الرعب الذى استولى عليه . وقد أدركت حينئذ سبب ذلك الخوف الذى استولى عليه حينما دفع سكرتيرى باب مكتبى فجأة ، وفهمت سر تلك النظرات المتحيرة التى لاحظتها فى عينيه ، والتى لم يكن لها فى الواقع من سبب سوى هذا الخوف وحده دون سواه .

وفى ذات يوم بينما كان يطل من نافذة أحد الأندية فى كوتشنج إذ لمح الصينى يمشى فى الشارع على مقربة منه ! وقد التقت نظراتهما فى هذه المرة أيضاً ! وكاد يغمى على الهولاندى من هول هذه المفاجأة لولا أن تمالك أعصابه وأمسك بحافة النافذة بكلتا يديه . وقد خطرت له حينئذ فكرة الهرب من ذلك المكان فغادره على الفور وجاء إلى هنا دون أن يأتى معه بشىء من أمتعته سوى تلك القيثارة التى مازلت محتفظاً بها عندى إلى الآن . وقد كان متأكداً فى هذه المرة من أن الصينى لم يتبعه إلى هذا المكان البعيد .

وهنا قطعت حديث مضيفى وألقيت عليه هذا السؤل :

— ولماذا اختار الهولاندى هذا المكان دون سواه ؟

فأطرق رفيق برأسه إلى الأرض مفكراً ثم قال :

— لأن المفروض فى تلك السفينة أن ترسو على مايقرب من الإثنى عشر شاطئاً ، ولذلك كان من الصعب على الصينى — إذا كان بالفرض موجوداً على سطحها — أن يعرف فى أى الشواطئ سينزل الهولاندى لأن الأخير كان متكتماً ذلك بقدر الإمكان حتى أن الربان نفسه لم يكن يعرف وجهته بالذات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه كان قد تنكر بحيث يتعذر على الصينى أو أى شخص آخر معرفته .

وهنا سكت رفيق برهة ريثما يسترد أنفاسه ثم أردف قائلا :

— ولما وصل الهولاندى إلى هنا قال لى وهو ينظر حوله بارتياح (إننى هنا فى أمان ، وإذا أمكننى أن أظل هادئاً لبضعة أيام أخر ، فإننى لا ألبث أن أستعيد صحتى ، وأسترد أعصابى المنهوكة المتعبة !) فابتسمت له حينئذ وقلت مشفقاً (أمكث كيفما شئت وستكون أحسن حالا هنا إلى أن تأتى السفينة التالية فى الشهر القادم ، وإذا شئت أن أراقب الذين يفدون إلى هذا المكان فانى على أتم الاستعداد لذلك) .

فشكرنى بلطف على عنايتى به ، واهتمامى بأمره وقال (أظن أنه لا داعى إلى ذلك ما دمت هنا فى أمان) .

وقد قدته بعدئذ إلى غرفته . فلما صار بداخلها أخذ يفحصها بعناية واهتمام ثم أغلق النوافذ والأبواب بالرغم من أننى أقنعته بأنه ليس هناك ما يستوجب كل هذه الاحتياطات .

ولما تركته أغلق ورائى باب الغرفة إغلاقا منيعاً محكماً كما لو كان يتوقع أن يهاجمه أحد !

وفى صباح اليوم التالى سألت الخادم الذى أحضر لى طعام الافطار عما إذا كان الهولاندى قد استيقظ من نومه ، فأخبرنى بأنه سيذهب ليراه . وقد سمعته بعدئذ وهو يقرع باب غرفته مرات دون أن يفتح له . فلما لم يسمع أى إجابة من الداخل طرق الباب أكثر من ذى قبل ولكن بلا فائدة . وهنا ساورنى بعض القلق لأجله فقفزت من مقعدى وهرعت بدورى إلى غرفته وطرقت الباب بكلتا يدى طرقاً عنيفاً متواصلا ولكن بدون جدوى . وأخيراً دفعت الباب بكل قوتى ودخلت الغرفة ثم اتجهت إلى الفراش وأزحت الكلة بيدى ، فوجدت الهولاندى قد فارق الحياة . وكانت عيناه جاحظتين وفيهما أثر رعب هائل ، وفزع مخيف . ووقع نظرى فى تلك اللحظة على خنجر غائر النصل فى عنقه الأبيض العارى . وقد فتشت الغرفة قطعة قطعة وجزءاً جزءاً على أعثر على أحد . فلم أجد أثراً يدلنى على المجرم . والشىء الذى أدهشنى وحيرنى أكثر من غيره هو الكيفية التى دخل بها المجرم إلى مسكنى بالرغم من أننى اتخذت كل الاحتياطات اللازمة لمنع أى كائن غريب من الدخول إليه ونبهت على الخدم بمراقبة كل شخص يستريبون فيه أويشكون فى أمره . ولكننى أرجح أن المجرم قد دخل من النافذة إذ من الممكن فتحها من الخارج . ولما كانت غرفة الهولاندى فى الطابق الأول ، فمن هنا يسهل التسلق إليها ، والدخول فيها دون إحداث أى جلبة أو صوت .

وأخيراً سكت محدثى ليشعرنى بانتهاء قصته . فلما رآنى غير مرتاح إلى هذه النهاية المحزنة نظر إلى متأسفاً وقال :

أظنك غير مرتاح إلى نهاية هذه القصة ؟

فنظرت إليه نظرة حالمة وقلت :

إنها لا بأس بها على أى حال ، ولكنى كنت أفضل سماعها فى صباح الغد عند تناول الافطار .

فضحك صديقى ضحكة قصيرة خافتة وقال :

أرجو المعذرة لأننى لم أكن أظن أنها ستؤثر فى نفسك إلى هذا الحد .

قال ذلك ثم حيانى تحية المساء وأغلق وراءه باب غرفتى وانصرف .

محمد عبد اللطيف حسن